الجانب الأخلاقي
في فلسفة الفارابي
"عـرض ونقــد"

تأليف

دكتور / محمد حسن مهدي
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، صاحب الخلق العظيم الذى بعث ليتم للناس أخلاقهم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فإن من أكرم الفضائل، وأحسن الشمائل، خلق يتحلى به الإنسان، ليعلو به عن مراتب الحيوان، فالإنسان: دم ولحم وعصب، والحيوان أيضاً كذلك، يفرق بين الاثنين العقل والخلق، فإذا ما انعدما انعدمت الفروق بينهما، وصار مثلين متشابهين، وبالجهل والحمق متلازمين، غير أن هذا ينطق وذاك لا، وقد ينطق الإنسان بالفحش حيث لا ينطق الحيوان بفحش، وحينئذ يكون الصامت خيراً من الناطق، والساكت خير من المتكلم.

هذا وقد نزع فلاسفة العالم إلى البحث والتنقيب عما يخرج الإنسان من هذه المرتبة الدنيئة الوضيعة، إلى المرتبة السامية الرفيعة، التى ترفع به عن مصاف الحيوان، إلى المرتبة التى اختصه الباري تعالى بها، وأبدعه من أجلها، وهى خلافته فى الأرض، ليبسط فيها العدل الإلهي، والخلق الفاضل الذى جبله الحق تعالى عليه، ووهبه أداته وهو العقل، الذى يحثه على فعل الفضائل، وينفره من اقتراف الرذائل.

وأعظم ما ورثته الإنسانية من أنبيائها وهداتها ومرشديها على مر العصور، الخلق القويم، والسلوك المستقيم، والأديان السماوية ما جاءت

إلا لتهدي الناس إلى الاعتقاد الحق، وعمل الخير، والسلوك الطيب القويم.

ورسول الإسلام -ﷺ- كان في كل حياته مدرسة أخلاقية يتعلم فيها الناس الفضائل كلها التي تُقوّم البشر وتحيي إنسانية الإنسان، لأنها تطهر قلبه، وتزكي نفسه، وترقي وجدانه، وتهذب طباعه، وتنقي ميوله، وتمنحه القوامة على نزعاته وغرائزه، وتمده بالعون على نوازع الشر، ورسولنا -ﷺ- في ذلك كله إمام ورائد ومثل أعلى يحتذى به.

وحين أثنى الله - تعالى - عليه في قرآنه المجيد، أثنى عليه بعبارة وجيزة غاية في ألفاظها، ولكنها عميقة غاية في العمق في معناها ومرماها، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]. ولما سُئلت أم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن خُلقه -ﷺ- أجابت: (كان خُلقه القرآن). وهي تعني بذلك أن رسول الله -ﷺ- قد التزم القرآن سلوكاً ومنهجاً، فامتثل أوامره، وانتهى بنواهيه، أحل حلاله وحرم حرامه، فكانت حياته بذلك تطبيقاً عميقاً للقرآن، وإن شئت فقل: (كأنه قرآن يمشي على الأرض، ويتحرك بين الناس).

وجاء تعبير السيدة عائشة - رضى الله عنها - (كان خلقه القرآن) وصفاً شاملاً لحياة الرسول بكل ما فيها، وأبان الرسول -ﷺ- في وضوح الهدف الذى من أجله كانت رسالته السمحة حين قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]. فالإسلام كله بعباداته ومعاملاته، إنما يهدف إلى تحقيق غاية واضحة ومحددة، هى (مكارم الأخلاق)، تلك

---

(١) سورة القلم - آية : ٤

(٢) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه - في كتاب (الأدب المفرد) ، والإمام أحمد في مسنده - ٣٨١/٢.

الشـريعة التي عمل لها الرسول-ﷺ-، وحققها في ذاته، وضرب بها المثل الأعلى لأمته.

ومـا أكـرمها من غاية، وذلك لأن من ملك زمام الخلق الكريم، ملـك كل شئ، وإن كان لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ومن أفلت من يده هذا الزمام خسر كل شئ، وإن ملك الدنيا بحذافيرها، وأكبر مصيبة يمكن أن تصـاب بهـا أمة في تاريخها، هي مصيبتها فى الأخلاق، لأنها تعني الانحلال والفوضى والضياع، وهذا ما تعانيه كثير من دول العالم الغربي فـى عصـرنا الراهـن، حيـث تعيش خراباً أخلاقياً يأتي على الأخضر واليـابس مـن قيمها الفاضلة، ومقومات الإنسانية في أبنائها، رغم ما ينبهر به السذج من ذلك التقدم المادي الرهيب في تلك الحضارة.

إن هـذا التقدم المادي يخدم الجانب الحيواني في الإنسان فقط، أمـا الجوانـب الأخـرى المعـنوية والروحية وهى قوام حياة الإنسان الحقيقـية، فذلـك مـا يعتقده الغربيون اليوم، فالقيم النبيلة التى تحقق الترابط والحب، وتقوم على الإيثار والمودة بين الناس فلم يعد لها مكان فـي دنـيا الـناس هـناك. وذلـك لأن الفلسـفات الواقعية والوجودية والبرجماتية والشيوعية ونحوها، هى التى توجه سلوك الناس وأفكارهم هـناك، وعـنها ينبثق الإلحاد الديني، الذى يقطع جميع صلات الإنسان بالسماء.

وأخشـى مـا أخشاه على مشرقنا المتدين أن يجرفه التيار، كما جـرف أمـم الغـرب من قبله، ولا سيما ونحن - هنا - مولعون بتقليد الغـرب فـي كل شئ والإلحاد والانحلال، وفوضى الأخلاق هى بضاعته الـتى يحـرص أعداء الإسلام على الترويج لها في بلادنا باسم التقدمية

والمدنـــية، أو الحـــرية الشخصـــية، أو الفكر المفتوح، أو نحو ذلك من الأســـماء، ذلك أمر ينبغي أن يتنبه لـــه الدعاة إلى الله وعلماء الأخلاق، والمصلحون من المؤمنين في كل بلد إسلامية [1].

ولمـــا كانـــت الأخـــلاق تشـــكل مكاناً كبيراً من اهتمام الإنسان، وتســـتحوذ على تفكيره، أو ينبغي أن تكون كذلك، إذ الإنسان لا يستطيع أن يستغنى عن الأخلاق في أى لحظة من لحظات حياته، ولا يستطيع أن يســـتغني عـــن مثل أعلى في سلوكه، أو معيار للحكم على أفعاله وأفعال الـــناس بالخـــير أو الشـــر، ولا يمكن أن يتصور المرء إنساناً يعيش بلا ضـــمير يحاســـبه إذا أخطأ، ويلومه إذا تمادى فى الخطأ، ومن هنا كانت أهمـــية الدراســـات الأخلاقـــية، فإنها ليست مجرد دراسات نظرية جافة منفصلة عن حياة الناس، وإنما هي دراسات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة الناس، وممتزجة بسلوكهم امتزاجاً عضوياً.

ولمـــا كان للأخلاق هذه الأهمية العظيمة الجليلة في حياة الفرد والمجـــتمع، ولا نكـــون مبالغين إذا قلنا أنها تمثل ركناً أساسياً في هذه الحـــياة، ولهـــذا فإن هناك شبه اتفاق بين المفكرين والفلاسفة والعلماء على ضرورة الأخلاق ولزومها لحياة الإنسان فرداً كان أم جماعة.

إن الإنســـان الذى يسعى إلى الارتقاء بذاته، والسمو بإنسانيته، يعانـــي صراعاً داخلياً بين جانبه المادي وجانبه الروحي، والأخلاق هى الـــتى تســـاعده علـــى انتصار الجانب الروحي فيه على الجانب المادي، وتحقـــيق مـــا يسعى إليه من السمو بإنسانيته، ثم تصبح الأخلاق بمثابة صـــراط مستقيم على الفرد أن يحفظ توازنه عليه، كى يعبر سالماً خلال

---

(١) الإسلام والمذاهب الأخلاقية ، د/ إبراهيم محمد إبراهيم ، صـ ٦ : ٧ ـ ط : الأمانة ـ ١٩٨١م.

المجتمع من حيوانيته إلى إنسانيته، وربما كانت المعجزة الكبرى التى تصنعها الأخلاق هي: أنها ترد للإنسان كرامته، وتحرك ما فيه من عنصر سمو وجلال، وتسمو به فوق المستوى الطبيعي البحت، إلا أن ذلك لا يتحقق على الوجه الأكمل إلا إذا كانت هذه الأخلاق مستوحاة من الدين، وقائمة على أساس من العقيدة الصحيحة التى تتمثل في الإسلام الدين الخاتم.

ولما كان الأمر كذلك أردت في هذا البحث أن ألقى الضوء على «الجانب الأخلاقي في فلسفة المعلم الثاني "أبو نصر الفارابي»، حيث تخلق هذا الرجل بالأخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة، فعاش عيشة الزهاد والمتصوفة، فلم يهفو إلى ملذات الدنيا وحطامها الفاني، والعلة فى ذلك ترجع إلى إيثاره حياة الفكر والتأمل والعزلة التى استهوته منذ شبابه الباكر، فكان مضرب الأمثال في الأخلاق العملية التى تتضاءل دونها عشرات النظريات التى يسوقها الأخلاقيون دون أن يكون لها أثر في الواقع، هذا عن الأخلاق العملية، أما عن الأخلاق النظرية فله في ذلك باع طويل، ويتجلى ذلك واضحاً في كثرة ما كتبه عنها، وبالأخص فكرة "السعادة" التى كتب عنها أكثر من مؤلف، منها رسالة "تحصيل السعادة"، حيث ربط فيها نظريته الأخلاقية بنظريته في السعادة، فالأولى هى السبب المباشر لحصول الثانية، بمعنى أن السعادة هى الغاية، والأخلاق هى الوسيلة الموصلة إليها. ورسالة أخرى في "التنبيه على سبيل السعادة".

فلذلك يعتبر "الفارابي" في مقدمة الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بدراسة علم الأخلاق، فقد جعل الأخلاق والقيم الفاضلة، النتيجة

النهائية لكل المقدمات التي طرحها في فلسفته، فهو يرى أن الإنسان كائن أخلاقي بالطبع، كما هو مدني بالطبع. مسايراً في ذلك أستاذيه "أفلاطون" و "أرسطو".

وسنتكلم في هذا البحث، عن حياة "الفارابي"، ثم نُعَرِف بالأخلاق كما جاءت في مؤلفات "الفارابي"، ثم نتحدث عن النفس الإنسانية لما لها من صلة وثيقة بالجانب الأخلاقي في فلسفة الفارابي، ثم نثنى بالحديث عن الفضيلة وأقسامها، ثم نعقب بعد ذلك بالحديث عن السعادة عند الفارابي.

وبعد:

فهذا ما هداني الحق تبارك وتعالى إليه في بحثي هذا، فإن كنت قد وفقت فذلك بفضل الله تعالى وتوفيقه، وإن تكن الأخرى، فعذري أنني بشر أخطئ وأصيب، والكمال لله وحده، وحسبي أنني ما ابتغيت إلا وجه الحق والصواب.

وأخيراً ندعو الله تعالى أن ينفع ببحثنا هذا طلاب المعرفة، وأن يرزقنا الإخلاص فيما نكتب ونعمل...

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

المؤلف/ محمد المهدي

أولاً : حياة الفارابي

نسبه:

لقد اختلف المؤرخون في نسب "الفارابي"، ولم يتفقوا على رأى واحد في ذلك، فمنهم من قال: "إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد ابن أوزلغ بن طرخان"(١)، وقيل إن اسمه: "أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان"(٢)، وقيل اسمه: " أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ "(٣)"، وقيل إن اسمه: "أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان"(٤)، وهذه الرواية تتفق مع الرواية الثانية. وقيل اسمه: "أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان"(٥)، وقيل اسمه: ""أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن نصر الفارابي"(٦).

فلا اتفاق إذن على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم.

أصله :

أغلب المؤرخين يتفقون على أن الفارابي تركى الأصل، إلا أن ابن أبى أصيبعة ينفرد برواية لا تتفق مع هذا الرأي، حيث يقول: "وكان أبوه قائد جيش، وهو فارسي المنتسب"(٧).

وقد استبعد هذا الرأي الشيخ مصطفى عبد الرازق، حيث يقول: "ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية، لتقارب البلدين، واشتراك

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبى أصيبعة، ٢٢٣/٣، ط : بيروت – ١٩٨١م.
(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطى، صـ ١٨٢ ، ط : القاهرة – ١٣٢٦هـ.
(٣) وفيات الأعيان، لابن خلكان، صـ ١٥٣ – ط : بيروت – ١٩٧٨م.
(٤) تتمة صوان الحكمة، للبيهقي، صـ ٣٠ ، ط : دمشق ١٩٤٦م.
(٥) الفهرس، لابن النديم، صـ ٣٦٨ ط : دار المعرفة – ١٩٧٨م.
(٦) طبقات الأمم ، لابن صاعد الأندلسي ، صـ ٨٣ ، ط : السعادة.
(٧) عيون الأنباء ، ٢٢٣/٣.

الأعلام فيها"[1].

والذي أميل إليه وأرجحه: أن الفارابي تركي الأصل وليس فارسي، استناداً على إجماع المؤرخين على هذا الرأى، ولا يضر ذلك كون ابن أبى أصيبعة أتى برواية خالف فيها الإجماع.

مولده :

اختلف المؤرخون حول البلدة التى ولد فيها الفارابي، فيرى كل من القفطى وابن أبى أصيبعة وابن خلكان أن الفارابي ولد ببلدة فاراب نفسها. ويرى ابن حوقل والدكتور على عبدالواحد وافى[2]، والأستاذ العقاد[3]، أنه ولد بوسيج.

والذي أميل إليه وأرجحه: أن الفارابي ولد "بوسيج"، يؤيد هذا ما ذهب إليه الشيخ مصطفى عبدالرازق، حيث يقول: (إن الفارابي ولد "بوسيج"، كما ذكره ابن حوقل، ونسب إلى ولاية فاراب إلا أن المدينة المسماة بهذا الأسم قد حلت محل مدينة "قد"، ثم حلت محلها "اضرار"[4].

وسواء أكان من وسيج – كما يقول ابن حوقل – أم من فاراب، فإن الأمر ينتهي إلى شئ واحد، لأن وسيج كانت حصنا من حصون فاراب.[5]

أما عن سنة ولادته فلم نجد أحداً من المؤرخين ذكر ذلك

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، الشيخ مصطفى عبد الرازق ، صـ ٥٥ ، ط : مصر ١٩٤٥م.

(٢) فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة ، د / على عبد الواحد وافي ، ط : لجنة البيان العربي – ١٩٦١م.

(٣) من أعلام الإسلام ، الفارابي ، أ/ عباس محمود العقاد ، صـ ١٧ ، ط : دار إحياء الكتب العربية.

(٤) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، الشيخ مصطفى عبدالرازق ، صـ ٥٦ .

(٥) من أعلام الإسلام ، الفارابي ، أ/ العقاد ، صـ ١٨ .

بالتحديد، اللهم إلا أن ابن خلكان ذكر أن الفارابي توفى عام ٣٣٩هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً[١]. ومن هذه الرواية يمكننا أن نستنتج أن ولادته كانت عام ٢٥٩هـ تقريباً.

وهذا الاستنتاج هام في هذا المجال، إذ أن الفارابي لم يترجم لنفسه كما فعل بعض مفكري الإسلام، ولم يترجم له أحد من تلاميذه.

نشأته :

في الحقيقة إن النشأة الأولى لأى إنسان هامة جداً في حياته، ففيها ترتسم الخطوط الأولى لشخصيته، وقد تبقى آثار هذه النشأة ملاصقة له حتى مراحل عمره المتأخرة، ولكن مما يؤسف له أن نشأة الفارابي الأولى هى واحدة من الصفحات المجهولة، فنحن إذا تصفحنا التاريخ نجده يصمت صمتاً تاماً عن فترة الطفولة وفترة الشباب أيضاً، وبذا تبقى في حياة الفارابي فترة غامضة قد يجلوها كشف علمي.

يقول ابن خلكان:

(ثم خرج من بلده، وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي، فشرع في اللسان العربي فتعلمه وأتقنه غاية الإتقان، ثم اشتغل بعلوم الحكمة.[٢] وقد دخل بغداد سنة ٣٢٠هـ وهو يناهز يومئذ الخمسين.[٣]

وقد نشأ الفارابي على ثقافة لغوية دينية، فقد أقبل على تعلم العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية، ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات. وما

---

(١) وفيات الأعيان ، ١٥٦/٥ .
(٢) وفيات الأعيان ، صـ ١٥٣ .
(٣) فيلسوف العرب والمعلم الثاني صـ ٥٨ .

يـــرويه ابـــن خلكـــان مـــن أنـــه كـــان يلم بسبعين لساناً يدخل في باب الأساطير.[1]

وقد نال "الفارابي" أيضاً قسطاً من الدراسات العقلية المحيطة به مـــن رياضـــة وفلسفة، ولعله لم يتجه إليها إلا متأخراً بعد دخوله بغداد. وقـــد ذكر ابن أبى أصيبعة أن الفارابي قد اشتغل بمهنة القضاء في بلدته "فـــاراب" ثم بعد ذلك أعرض عنها وانهمك فى تحصيل العلوم. وفى هذا يقـــول: "ونقلت من خط بعض المشايخ أن أبا نصر الفارابي كان فى أول أمـــره قاضياً، فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وقبل بكليته على تعلمها، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا ألبته"[2].

وتســـتوقفني عبارة ابن أبى أصيبعة أمامها، وتجعلنى أتأمل في حـــال هـــذا الفيلسوف وقت شغله لمهنة القضاء، ثم استنتج بعد ذلك أن فيلســـوفنا كـــان مؤهـــلاً لها فكونه كان قاضياً، فلابد أنه قد أتقن العلوم الإســـلامية مـــن تفسير وحديث وفقه، ولغة وحفظ القرآن الكريم، بل إن البناء الأساسي لفيلسوفنا يعتمد بالدرجة الأولى على الثقافة الإسلامية.

أساتذته وتلاميذه :

ونظراً للمكانة العلمية التى كانت تحتلها بغداد آنذاك، كمصدر من مصـــادر إشعاع الثقافة والعلم فقد توجه إليها "الفارابي" كى يكّون نفسه علمياً وفكرياً، حيث بدأ تلقى العلوم والمعارف على أيدي كبار المفكرين والعلماء في بغداد.

ونحـــن حينما نتكلم عن أساتذة "الفارابي" إنما نتكلم عن أساتذته

---

(١) الفارابي من نوابغ الفكر العربي ، د / سعيد زايد ، صـ ١٥ ، ط : دار المعارف.
(٢) عيون الأنباء ، صـ ٢٢٤ .

وهو في دور النضوج، وهو العقد الأخير من حياته، بعد دخوله بغداد في سن الخمسين – كما أشرنا من قبل – أما عن سن الطفولة والشباب فلم يذكر لنا التاريخ عن أساتذته شيئاً.

رحـل الفارابي من بلده متوجهاً إلى بغداد طلباً للعلم وتحصيله، فكـان أول مـن التقى به من الأساتذه هو "أبو بشر متى بن يونس" الحكيم المشهور، وهو شيخ كبير كان متخصصاً في المنطق.

يقـول ابـن خلكان عنه: "...وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية، ويجتمع عنده كل يوم المئون من المشـتغلين بالمنطق، وهو يقرأ كتاب "أرسطوطاليس" في المنطق ويملى على تلاميذه شرحه، فكتب عنه في شرحه سبعون سفراً"[1].

ويسـتطر د ابن خلكان قائلاً: "ولم يكن في ذلك الوقت أحد مثله فـي فـنه، وكـان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل، حتى قال بعض علمـاء هـذا الفن؛ ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريقة تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبى بشر– يعنى المذكور– وكان أبو نصر يحضر حلقته فى غمار تلاميذه".[2]

يفهم من كلام ابن خلكان أن الفارابي أخذ المنطق من أستاذه أبو بشر، وكان يحضر حلقته العلمية. وقد أيده في هذا الرأى ابن العماد[3]، وطاش كبرى زاده [4].

ومـن أساتذته في المنطق "يوحنا بن حيلان"، وفي هذا يقول

---

(١) وفيات الأعيان ، ١٥٣/٥ .
(٢) السابق ، صـ ١٥٤ .
(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد ، ٣٥٠/٢ ـ ط : القاهرة ـ ١٣٥٨هـ .
(٤) مفتاح السعادة ، طاش كبرى زاده ـ ٢٥٩/١ ، ٢٦٠ ـ ط : الهند.

القاضي صاعد: "أنه أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان، المتوفى في مدينة السلام في أيام المقتدر"[1]، وقد وافق القاضي صاعد في هذا ابن خلكان حيث يقول: "ثم ارتحل إلى مدينة "حران"، وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني، فأخذ عنه طرفاً من المنطق، ثم قفل راجعاً إلى بغداد"[2]، وهو ما صرح به أيضاً ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء"[3].

وبعد أن تلقى الفارابي المنطق في "حران" على يد "يوحنا بن حيلان" رجع إلى بغداد مرة أخرى، وقرأ بها علوم الفلسفة، وتناول جميع كتب "أرسطو"، وتمهل في استخراج معانيها، والوقوف على أغراضه فيها، ويقال إنه وجد كتاب "النفس" لأرسطو وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي: (*إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة*)

ونقل عنه أنه كان يقول:

(*قرأت "السماع الطبيعي" لأرسطو أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودته*)

ويروى عنه أنه سئل : من أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم أرسطو؟

فقال: (*لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه*)[4]

ويفهم من هذه الرواية أن الفارابي كان كثير الإطلاع والتنقل والاستفادة من كل ما يقع في يده، بل إنه كان واسع الصدر، محباً للعلم وأهله لا يمل من مدارسة العلم.

---

(١) أخبار العلماء ، صـ ١٨٣ .
(٢) وفيات الأعيان ، صـ ١٥٤ .
(٣) عيون الأنباء ـ ٣/٢٢٥ ، ٢٥٦ .
(٤) وفيات الأعيان ، ٥/١٥٤ .

ومن أساتذته أيضاً: "أبى بكر السراج" تعلم منه الفارابي اللغة العربية. وفي هذا يقول ابن أبي أصيبعة: "إن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو، وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق"(١)

ويؤيد هذا ما ذهب إليه الدكتور محسن مهدي: "من أنه كان ابن السراج يعلم أبا نصر قواعد النحو، ويظهر له العلاقة بين علوم النحو واللغة من جهة، وعلوم المنطق والفلسفة من جهة أخرى"(٢).

ولا نجد في هذه التلمذة معارضاً، ولكن نجد الشيخ مصطفى عبدالرازق يستنكر كون الفارابي كان جاهلاً بهذه العلوم قبل قدومه إلى بغداد حيث يقول: "والظاهر أن الفارابي حين رحل إلى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكمية، فليس من المعقول أن الإمام "ابن السراج" المجمع على فضله وجلال قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشئ يتلقى دروسه الأولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشئ وتعاليمه، وليس بالمعقول أن من يجهل اللغة العربية يبتدئ بتعلم ألفها وبائها عن ابن السراج، إنما خرج الفارابي من بلاده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكميلاً لما عنده من العلم والحكمة"(٣).

ومهما يكن من أمر، فإن المعلم الثاني لم يكن جاهلاً بكل العلوم قبل قدومه إلى بغداد، بل كان على إلمام ببعض العلوم، ثم أصبح فيلسوفاً بالحقيقة، وعلامة وقته في بغداد بفضل أساتذته التى تلقى العلم على أيديهم، بل طبقت شهرته الآفاق بعد ذلك، ولقب بالمعلم الثاني بعد

---

(١) عيون الأنباء ، ٢٢٧/٣ .
(٢) كتاب الحروف للفارابي ، تحقيق د/ محسن مهدي ، صـ ٤٦ ـ ٤٧ ، ط : بيروت.
(٣) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، صـ ٥٩ .

أرسطو المعلم الأول، لكثرة شروحه لكتب أرسطو.

أمـــا عن تلاميذه فيقول ابن أبى أصيبعة: "أنه عظم شأنه وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه".[1]

يفهـــم من هذه العبارة، أن للفارابي تلاميذ كثيرون، ومع هذا لم يذكـــر لنا المؤرخون إلا نذراً قليلاً جداً من تلاميذه لا يتعد عددهم أربعة أشـــخاص، سواء من كانت تلمذته منهم مباشرة أو غير مباشرة، مع أن أثر الفارابي في عالم الفكر يفوق ذلك بكثير.

فمن ذكروه أبى زكريا "يحى بن عدى" المتوفى سنة ٣٦٤ هـ ، الحكيم المنطقى، وهو أفضل تلاميذه، وله تصانيف كثيرة، وكان يشرح كتـــب أرسطو، ويلخص تصانيف أبى نصر، وكذلك "إبراهيم بن عدي" الحكـــيم الـــذى كـــان من أخص خواص الفارابي وملازماً لـــه، ومدون تصانيفه وله هو أيضاً تصانيف كثيرة في النفس وسائر العلوم[2].

ومـــن تلاميذه أيضاً "أبو سليمان السجستاني" المتوفى عام ٣٨٠ هـــ، وهو تلميذ "يحى بن عدى" وهو أشهر منه، نبغ في أواسط القرن الرابع الهجري، وكان "للسجستاني" هذا حلقة فلسفية هامة، ومن أبرز تلاميذه الأديب المفكر "أبو حيان التوحيدي" توفى سنة ٤١٤هـــ.[3]

ثـــم يذكر المؤرخون أن "ابن سينا" من تلاميذ "الفارابي"، وهو من هو شهرة وعلماً، وإن لم يكن لـــه شرف التلمذة على يديه مباشرة، بل كانت تلمذته على تصانيف الفارابي، والرئيس أبو على بن سينا بكتبه

---

(١) عيون الأنباء .
(٢) تتمة صوان الحكمة ، للبيهقي ، صـ ٩٠ ، ١٠٢ ـ ط : لاهور ١٣٥١هـ .
(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ديبور ، ترجمة أبو ريدة ، صـ ١٥٥ ، ط : لجنة التأليف والترجمة ـ ١٣٣٨هـ .

تخرج، وبكلامه انتفع في تصانيفه"[1].

وابـــن سينا لا ينكر فضل الفارابي عليه وتلمذته، بل يعترف في تصـــريح واضح بأنه لم يفهم أغراض أرسطو فى كتابه "ما بعد الطبيعة" إلا من خلال كتب الفارابي. حيث يقول: "قرأت كتاب "ما بعد الطبيعة" فلم أفهـــم مـــا فـــيه، والتبس علىَّ غرض وضعه حتى أعدت قراءته أربعين مـــرة، وصـــار محفوظـــاً وأنا لا أفهمه، حتى اطلعت على كتاب "ما بعد الطبيعة" للفارابي"[2].

تلقيبه بالمعلم الثاني :

يعـــد الفارابـــي من فلاسفة الإسلام المبرزين الذين تبؤوا مكانة مـــرموقة فـــي الفكر الإسلامي، بل والغربي على مدى العصور، بما قدم للفكـــر من تراث في مجالات العلوم المختلفة، بل وبما قام به من شروح لكتب فلاسفة اليونان، وبالأخص "أرسطو" حتى لقب بالمعلم الثاني تيمناً بالمعلم الأول "أرسطو".

أمـــا عن السبب الذى من أجله لقب بالمعلم الثاني، فقد تضاربت الآراء حولـــه. فمن قائل أن هذا اللقب للفارابي قد جاء من عنوان كتاب للفارابـــي اســـمه "التعليم الثاني"[3]. وهذا الرأى واهي، ولا يقوى على الصـــحة، لأن المؤرخيـــن للفارابي لم يشر واحد منهم إلى هذا الكتاب، وعلـــى فرض أنه موجود فلم يكن هو السبب فى تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني.

---

(١) وفيات الأعيان ، ١٥٣/٥ .
(٢) نكت في أحوال الشيخ ابن سينا ، يحى بن أحمد الكاشى ، صـ ١٤/١ .
(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، حاجى خليفة ، ٦٧٩/١ ، ط : المعارف اسطنبول – ١٩٤١م.

ومـــنهم من قال: "إن هذا اللقب أطلق على الفارابي لاشتهاره في شـــروحه علـــى مؤلفات أرسطو المنطقية"[1]. وقد أيد هذا الرأى الشيخ مصـــطفى عـــبدالرازق، حيـــث قال: "والفارابي من خير المفسرين لكتب أرســـطو، خصوصـــاً فـــي المنطق، وأثره في هذا الباب هو الذى جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثاني إذا كان أرسطو هو المعلم الأول".[2]

وهـــذا هـــو مـــا أميل إليه وأرجحه، لكثرة الشروح التى قام بها الفارابـــي علـــى مؤلفـــات أرسطو، وهو ما نلمسه فعلاً عند حديثنا على مؤلفاتـــه وشروحه، وهى شروح تدل على عقلية فلسفية دقيقة وعالمة، ومطلعة على علوم السابقين بكل معاني كلمة الاطـــلاع.

نمط حياته :

إن المـــتأمل لحـــياة الفارابـــي يجـــده كان يعيش عيشة الزهاد والنســـاك، لـــم يكن بالرجل الذى تغره مظاهر الحياة والجاه، إنه قضى حـــياته كلها فى شظف من العيش، وكان يكسب قوته بجهده وعمل يده، بـــل قـــيل أنـــه كـــان ناطوراً فى بستان إبان الفترة التى ذهب إليها إلى دمشق، بل أوقف حياته للتعليم والتأليف وحبه للأسفار.

يقـــول ابـــن أبي أصيبعة: "إن الفارابي كان في أول أمره ناطوراً فـــي بستان- أى حارساً- بدمشق، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها، والتطلع إلى آراء المتقدمين، وشرح معانيها. وكان ضعيف الحـــال حـــتى أنـــه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف، ويستضئ بالقنديل الذى للحارس"[3].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، كارادفو ، ٥٠٤/٢ ـ ط : دار الشعب ـ ١٩٦٩م.
(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، صـ ٦٩ .
(٣) عيون الأنباء ، ٢٢٣/٣ .

يتضح من هذه العبارة، أن الفارابي قد امتاز بعزة النفس، وأنه كان يفضل أن يكسب عيشه بكده وعرقه، ولا يقف بباب أمير، وهو الفيلسوف صاحب الحكمة، لو أنه كان يبغي الدنيا لظفر فيها بالنصيب الأوفر.

ومما يجعلني أكبر فيه الإباء والشيم، وحبه للعمل، وازداد إعجاباً به، تصورى له وهو يشتغل ناطوراً في بستان أجير، وهو ما هو، فيلسوف المسلمين بالحقيقة، ثم إنه لا يقوى على شراء مصباح يستضئ به رغم احتياجه إليه، لاشتغاله بالتأليف والقراءة، فيلجأ إلى قناديل الحراس يستضئ بنورها.

"وقد كان الفارابي دائم الخلوة بنفسه لا يجالس الناس، وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء، أو مشتبك رياض، يؤلف كتبه، وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحفل بأمر مكسب أو مسكن"(١).

ويعطينا الشيخ مصطفى عبدالرازق، صورة مصغرة لحياة الفارابي فيقول: "ولقد عاش الفارابي عيشة الزهاد، حياته كلها، فلم يقتني مالاً ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً، وكان يستطيع أن يستمتع برقة العيش، خصوصاً في شيخوخته أيام استظلاله بظل الملك الجواد، "سيف الدولة"(٢).

ويؤيد هذا ما قاله الدكتور عبدالحليم محمود، من أن "المترجمين لحياة الفارابي يجمعون على أنه كان يعيش معيشة الزاهدين في العالم، وكان يميل إلى العزلة والتأمل، فقد عاش حياته معرضاً عن الدنيا،

---

(١) وفيات الأعيان ـ ١٥٦/٥ .
(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، صـ ٦٣ .

وحطامها الزائل، أخذ نفسه بالشدة وشظف العيش"[1].

وهـذا يؤكـد المـنحى الصوفي الذى كان يوجد داخل كثير من مؤلفاتـه ضـمناً أو تصريحاً. فقد كان الفارابي صوفياً في قرارة نفسه، يعـيش عيشة الزهد والتقشف، يميل إلى الوحدة والخلوة، محباً للطبيعة، يمتاز بالقناعة.

مؤلفاته وأسلوبه فيها :

ألـف "الفارابـي" معظـم كتبه في الفترة الأخيرة من عمره التى قضـاها متـنقلاً بين بغداد ودمشق، وهى فترة النضوج العقلي في حياة "أبـو نصر الفارابي". ولقد خلف لنا فيلسوفنا مؤلفات كثيرة، تعد مقياساً حقيقياً لبيان أهميته ومكانته التى احتلها فى تاريخ الفلسفة، وإن لم يقدر لها حظ الانتشار الواسع مثلما حظيت به مؤلفات تلميذه ابن سينا، ولعل السـبب فـي ذلك من أن أكثر تصانيفه في الرقاع، ولم يترك من الكتب الطويلة والرسائل المفصلة إلا القليل، بل يوجد بعضها ناقصاً ومبتوراً لا يلفت النظر"[2].

ومؤلفـات "الفارابـي" كثيرة، وهي تكاد تغطى عصره، غير أن معظـم هـذه الكتب قد فقد وضاع ولم يبق منها إلا القليل، ولو قدر لها الـبقاء لأثـرت المكتـبة الإسـلامية ثراءاً عظيماً، ولعظمت قيمته عند الحاقدين عليه.

والـتراث الذى تركه لنا الفارابي يتضمن اتجاهين، الاتجاه الأول يتضـمن شرح وتعليق لكتب الغير، والاتجاه الثاني يتضمن مؤلفاته هو

---

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام ، صـ ٢٤١ ـ ط : دار المعارف ـ ١٩٨٤م.
(٢) وفيات الأعيان ، صـ ١٥٦/٥ .

في شتى العلوم والمعارف الإنسانية.

ولقد أورد كل من القفطي[1]، وابن أبي أصيبعة[2]، ثبتاً لمؤلفات الفارابـــي، وإذا جاز لنا أن نأخذ برواية ابن أبي أصيبعة، فتكون مؤلفاته قد جاوزتن خمسة عشر ومائة مؤلفاً بين كتابا ورسالة، وشرح وتعليق، ولكن سنكتفى هنا بالأهم فقط.

ويمكن أن نقسم كتب المعلم الثاني إلى قسمين:

أولاً : كتب من إنشائه هو، أى من ابتكاره، وأهمـــها :

١- إحصاء العلوم ٢- آراء أهل المدينة الفاضلة

٣- السياسة المدنية ٤- تحصيل السعادة

٥- التنبيه على سبيل السعادة ٦- فصوص الحكم

٧- عيون المسائل ٨- الجمع بين رأيى الحكمين

٩- المسائل الفلسفية والأجوبة عنها

١٠- كتاب الموسيقى الكبير

١١- ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة

١٢- رسالة في معانى العقل

١٣- رسالة في إثبات المفارقات

١٤- كتاب الملة

ثانياً : شروح وتعليقات على كتب فلاسفة اليونان ، وأهمهـا :

١- شرح كتاب القياس لأرسطو

٢- شرح كتاب الخطابة لأرسطو

٣- شرح كتاب البرهان في المنطق لأرسطو

---

(١) إخبار العلماء ، صـ ١٨٢ ـ ١٨٤ .

(٢) عيون الأنباء ، ٢٣١/٣ ـ ٢٣٤ .

٤- شرح كتاب الجدل لأرسطو

٥- شرح المقولات لأرسطو

٦- شرح المغالطات لأرسطو

٧- الأخـــلاق لأرسطـــو

٨- السمـــاع الطبيعي لأرسطو

٩- شرح رسالة زيتون الكبير

١٠-مقالة في أغراض الحكيم

١١- شرح كتاب المحيطى لبطليموس

١٢- مقالة فى العقل للإسكندر

١٣- تلخيص كتاب النواميس لأفلاطون

١٤- الآثار العلوية لأرسطو

١٥- السماء والعالم لأرسطو

١٦- فصول منتزعة

هذه هى أهم مؤلفات وشروح المعلم الثاني، وحقيقة لو قدر لكل ما كتبه فيلسوفنا أن يصل إلينا لكان له تقدير وإجلال أكثر.

أما عن أسلوب الفارابي في كتاباته، فهو أسلوب دقيق، ليس فيه تكرار ولا ترادف، وهو يعتني باللفظ والعبارة، ويعطي أغزر المعاني في جمل مختصرة. والمعلم الثاني شغوف بالمتقابلات، فعندما تخطر له فكرة لابـــد أن يفكـــر فـــي مقابلها، وآية ذلك كتابه المسمى "رسالة فى جواب مسائل سئل عنها".

وأهم شئ عند الفارابي – في هذا المجال – أنه يمر على الأمور الـــتى يفـــترض أنهـــا معروفة دون أن يطيل في شرحها، ولا تستوقفه الموضـــوعات العاديـــة، لكنه عند الحديث عن أساس النظرية، ودعامة

المذهب يجلى ما غمض، ويدلي فيه برأيه، وخير مثل على ذلك رسالته "في أغراض الحكيم في كل مقالة من الكتاب المرسوم بالحروف"، والجمع والترتيب والتأليف، والتحليل والتركيب، والتفريع والتركيز والتصنيف، خاصة من خواص الفارابي، وهدفاً من أهدافه في الكتاب، وخير شاهد على ذلك رسالته المسماة: "ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة" فهي أشبه ما يكون بفهرس مقسم ومبوب لعرض المدارس الفلسفية اليونانية، مبيناً مصدر تسميتها وأسماء رؤسائها"[1].

وفاته :

أغلب المؤرخين للفارابي يذكرون أنه توفى بدمشق سنة ٣٣٩ هـ، وأن سيف الدولة قد صلى عليه في أربعة عشر أو خمسة عشر من خواصه، بزى أهل التصوف، وإن وفاته كانت طبيعية. وفي هذا يقول ابن ابى أصيبعة: "ونقلت من خط بعض المشايخ أن أبا نصر الفارابي توفى بدمشق في رجب سنة ٣٣٩هـ عند سيف الدولة في خمسة عشر رجلاً من خاصته"[2]. ويؤيد هذا قول ابن خلكان: "توفى الفارابي بدمشق سنة ٣٣٩هـ وقد ناهز ثمانين سنة، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير"[3].

يؤخذ من هاتين الروايتين، أن الفارابي توفى عام ٣٣٩هـ، وكانت وفاته طبيعية بدمشق، وصلى عليه سيف الدولة في نفر من خاصته، وأن صلاته كانت آية مودة وتكريم لهذا الفيلسوف الذى أتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم.

---

(١) الفارابي من نوابغ الفكر العربي، د/ سعيد زايد ، صـ ٢٣ .
(٢) عيون الأنباء ، ٢٢٤/٣ .
(٣) وفيات الأعيان ، ١٥٦/٥ .

وخـــالف البيهقـــي في ذلك، وجعل وفاته كانت قتلاً وليست وفاة طبيعية، حيث يقول: "وقد سمعت من أستاذي- رحمه الله -، أن أبا نصر كان يرتحل من دمشق إلى عسقلان فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم القيان، فقال لهم أبو نصر: خذوا ما معي من الدواب والأسلحة والثـياب وخلـوا سـبيلي، فأبوا ذلك وهموا بقتله، فلما صار أبو نصر مضـطراً ترجل وحارب حتى قُتِلَ، ووقعت هذه المصيبة في أفئدة أمراء الشـام مواقع، فطلبوا اللصوص ودفنوا أبو نصر، وصلبوهم على جذوع عند قبره"[1].

وهـذه الـرواية ضعيفة في نظري، وغير مقبولة، حيث لم أجد أحداً من المؤرخين للفارابي أيده في ذلك، ولو كانت وقعت فعلاً لعنوا بها مـن ترجموا للفارابي. وفي ذلك يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق: "ولو صـحت حكايـة قـتل الفارابـي لأشار إليها من ترجموا لـه ممن كان زمـنهم قريـباً مـن زمـنه، كأبـي الحسـن على المسعودي المتوفى سـنة ٩٥٧م، على أننا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها"[2].

وقصارى القول: أن أبا نصر الفارابي توفى عام ٣٣٩هـ، وفاتاً طبيعـية حـتف أنفـه، ولـيس قـتلاً كما يدعي البيهقي، وهذا ما نميل إليه ونرجحه.

مكانته وأقوال العلماء فيه:

يحـتل الفارابي مكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة الإسلامية، بل إن شئت فقل إن الفلسفة بمعناها الواسع الذى كان مستخدما فى عصره،

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام ، صـ ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ـ صـ ٦٢ .

كانت أوضح نواحى نبوغه وألمعيته، وأظهر ميادين تخصصه، فكانت جهوده متجهة إلى تجريد بحوثها، وخاصة ما تعلق منها بالفلسفة اليونانية، بل استأثرت فلسفة أفلاطون وأرسطو بالقسط الأوفر من نشاطه الفلسفي.

لقد عرف أبو نصر بين أقرانه من علماء وفلاسفة عصره بأنه كان قوى التفكير، يجيد العديد من اللغات التى كانت في عصره، أوصلها ابن خلكان إلى سبعين لغة، وإن كان فى هذا القول مبالغة، بل إنه كان يتقن الموسيقى كما يتقن العلوم الحكمية والرياضية.

وقد ذكر ابن خلكان عنه أخبار لا تثبت على محك العقل لغرابتها، فهى إلى الفكاهة أقرب منها إلى الحقيقة، حيث زعم أن الفارابي عندما دخل على سيف الدولة في أول أمره، وحضر مجلس المناظرة زاحم الأمير على مسنده، وجلس مكانه وأفحم كل المتناظرين، ثم أخرج عيداناً من خريطة كانت في وسطه وركبها ولعب بها، فضحك كل من كان في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فأبكاهم، ثم غير تركيبها ونقر عليها فناموا جميعاً حتى البواب فتركهم نياماً وخرج.

وهذه الرواية مع ما فيها من مبالغة ظاهرة، وبعد عن الواقع إلى حد ما، إلا أنها إن دلت على شئ فإنما تدل على عدة خصال امتاز بها أبو نصر الفارابي، منها:

١- عزة النفس التى امتاز بها جعلته لا يخشى سلطانا ولا جاها.

٢- تقدير السلطة الحاكمة لهذا الحكيم ممثلة في شخص سيف الدولة.

٣- إجادة الفارابي للغات التى كانت سائدة فى عصره آنذاك لا غنى عنها لأى باحث أو مفكر.

٤- إجـادة الفارابي لفن الموسيقى بحيث بز أقرانه المتخصصين الذين حضروا الجلسة التى عقدها الأمير سيف الدولة.

ومهمـا تكـن قـيمة هـذه الحكاية، فالثابت أن الفارابي أدهش سـيف الدولـة فـي أول لقـاء بـه، فأكرم وفادته،، كما أكرم المتنبي شاعره الكبير.[١]

ويـرى "ابـن خلكان" أن الدور الذي قام به "الفارابي" في العالم العربـي شـبيه إلـى حـد كبير بالدور الذى قام به "أفلوطين" في العالم الغربـي، وهو الذى أخذ عنه "ابن رشد" وغيره من فلاسفة العرب، ومع ذلـك فإن مكانة "الفارابي" الفكرية، وقيمته في مجال الفلسفة الإسلامية الحقيقية تقوم على ما صنف من كتب، وعلى ما ابتكر من تأليف.

أما عن تقدير العلماء له فأقوالهم فيه تدل على ذلك، فابن صاعد الأندلسي يقول في حقه:

"إنه فيلسوف المسلمين بالحقيقة، أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بـن حـيلان، فـبذ جميع أهل الإسلام، فيها،... إلى أن قال: ثم له كتاب شـريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحـد مذهـبه فيه، لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به، وتقديم النظر فيه"[٢].

ويقـول ابـن خلكان فيه: "هو أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن فـيهم من بلغ رتبته في فنونه، والرئيس أبو على بن سينا بكتبه تخرج، وبكلامه انتفع في تصانيفه"[٣].

---

(١) وفيات الأعيان ، صـ ١٥١

(٢) طبقات الأمم ، صـ ٨٣ ـ ٨٤ .

(٣) وفيات الأعيان ، صـ ١٥٣ .

ويصفه القفطي: "أنه فيلسوف المسلمين غير مدافع"[1].

ويقول الشيخ مصطفى عبدالرازق عنه: "الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام، هما أفلاطون وأرسطو. واثنان في الإسلام وهما، أبو نصر الفارابي، وأبو على بن سينا، وكان أبو على تلميذاً لتصانيف الفارابي، يعترف أنه لولاها لما اهتدى إلى فهم ما بعد الطبيعة"[2].

ويقول دى بور: "كان الفارابي يعيش في عالم العقل ابتغاء الخلود، وكان ملكاً في عالم العقل، أما من حيث ما يقتنى من متاع الدنيا فكان فقيراً"[3].

ويقول عنه "ديتريس": "إن الفارابي مؤسس الفلسفة العربية"[4].

ويقول عنه "سينيون": "الفارابي أول مفكر مسلم، كان فيلسوفاً بكل ما للكلمة من معنى"[5].

وبعد استعراضنا لأقوال بعض العلماء في فضل مكانة الفارابي في عالم الفلسفة، نستطيع أن نقول: "أن الفارابي يحتل مكانة كبيرة ورفيعة في تاريخ الفلسفة العربية، وهذا بما تركه من أثر بالغ في تاريخ الفكر البشري، وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة، بل إن الفارابي قد ترك لنا مذهباً محدد المعالم إلى حد كبير، سواء في الطبيعيات أو الإلهيات أو الأخلاق.

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، صـ ١٨٢ .
(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، صـ ٦٧ .
(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، صـ ١٥٤ .
(٤) رسالة الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية ، تحقيق وتقديم د/ ديتريص ، المقدمة ـ ط: ١٨٩٠م.
(٥) التفكير الفلسفي في الإسلام ، د/ عبدالحليم محمود ، صـ ٢٣٧ .

ونكتفى بهذا القدر، من الحديث عن حياة "الفارابي"، وننتقل إلى الحديـــث عن الجانب الأخلاقي في فلسفته، حيث أنه هو بيت القصيد في بحثنا هذا.

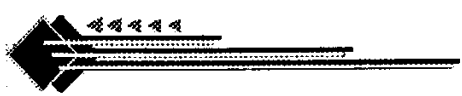

ثانياً
الأخلاق في فلسفة الفارابي

تخلق الفارابي بالأخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة، فكان مضرب الأمثال في الأخلاق العملية، التى تتضاءل دونها عشرات النظريات التى يسوقها الأخلاقيون، دون أن يكون لها أثر في الواقع، هذا عن الأخلاق العملية. أما عن الأخلاق النظرية فله في ذلك باع طويل، ويتجلى ذلك واضحاً فى كثرة ما كتبه عنها، وبالأخص فكرة السعادة التى كتب عنها أكثر من مؤلف، منها رسالة "تحصيل السعادة" حيث ربط فيها نظريته الأخلاقية بنظريته في السعادة، فالأولى هى السبب المباشر لحصول الثانية، بمعنى أن السعادة هى الغاية والأخلاق هى الوسيلة الموصلة إليها، ورسالة أخرى في "التنبيه على سبيل السعادة".

فلذلك يعتبر الفارابي في مقدمة فلاسفة الإسلام الذين اهتموا بدراسة علم الأخلاق. فقد جعل الأخلاق والقيم الفاضلة، النتيجة النهائية لكل المقدمات التى طرحها في فلسفته، فهو يرى أن الإنسان كائن أخلاقي بالطبع، كما هو مدني بالطبع، مسايراً في ذلك أستاذيه "أفلاطون وأرسطو".

والأخلاق والسياسة، هما القسم العملي من فلسفة الفارابي، فكثيراً ما يمزج بينهما في مؤلفاته، وهو في هذا متأثر بفلاسفة اليونان، وبالأخص أستاذه "أفلاطون"، فقد حذا الفارابي في "مدينته الفاضلة" حذو "أفلاطون" فى "جمهوريته المثالية".

ويعرف "الفارابي" علم الأخلاق، وهو بصدد الحديث عن العلم المدني، الذى يتناول السياسة والأخلاق معاً فيقول: "أما العلم المدني فإنه

يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإرادية، وعن الملكات والأخلاق والسجايا والشيم التى عنها تكون الأفعال، وعن الغايات التى لأجلها تفعل، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان"[1].

فالفارابي في هذا التعريف، يقصد علم الأخلاق، وإن كان حديثه عن العلم المدني بصفة عامة، لأن الحديث عن الأفعال الإرادية التى تصدر من الإنسان، والقوانين التى تحكم هذه الأفعال، والغاية التى ترمى إليها، كل ذلك حديث عن علم الأخلاق، فعلم الأخلاق عبارة عن دراسة مجموعة من السجايا أو الشيم أو الملكات التى تنطبع فى النفس بحكم العادة أو التجربة، فهو يعرفه فى رسالته "التنبيه على سبيل السعادة" بقوله: "هو علم الأفعال الجميلة، والأخلاق التى تصدر عنها الأفعال الجميلة، والقدرة على أسبابها، وبه تصير الأشياء الجميلة قنية لنا، أى ملكة"[2].

إذن فعلم الأخلاق عند الفارابي يعتنى ببحث أفعال الإنسان الإرادية الجميلة وأسبابها، وكيف تصير عادة وملكة لدى الإنسان، وكيف تتميز عن الأفعال القبيحة. وبناء على ذلك فالأفعال اللاإرادية غير داخلة فى نطاق علم الأخلاق، وأيضاً لما كانت الأخلاق قد تتصل بالإرادة الإنسانية، فإن دراستها هى دراسة معيارية.

والفارابي يعطى لعلم الأخلاق شأناً كبيراً في حياة الأفراد، فهو يرى أن هذا العلم يهدف إلى استنباط القوانين العامة التى تحكم الفعل الخلقي، الذى ينطبق على جميع الناس، وبغض النظر عن اختلاف

---

(١) إحصاء العلوم ، للفارابي ، تحقيق عثمان أمين ، ١٠٢/١ ، ط : دار الفكر العربي ، ١٩٤٩م.

(٢) التنبيه على سبيل السعادة، للفارابي، صـ ٢٠ ـ ٢١، ط : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٦هـ.

الـزمان والمكـان، وهـذا مـا دعـى إليه "أفلاطون" من قبل، وخالف بـه السوفسـطائيون، الذيـن يقولـون بنسـبية القوانيـن، وأن ليس هناك قوانين كلية[1].

"فكمـا أن علم المنطق يضع قوانين المعرفة، فكذلك علم الأخلاق يضع القوانين الأساسية التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان في سلوكه، بالـرغم مـن أن شـأن العمـل والتجربة في الأخلاق أكبر مما هو في المـنطق. ويلاحـظ "دى بـور" أن الفارابي في معالجته للأخلاق يوافق "أفلاطـون" تارة، و "أرسطو" تارة أخرى، وقد يتجاوز آراءهما في نزعة تصوف وزهد"[2].

يتضـح مـن هذا النص، أن علم الأخلاق مهمته وضع القوانين الـتى يسـير على نمطها الإنسان في سائر أعماله، كما أن العقل يضع القوانيـن الـنظرية المتعلقة بالمعرفة. كما أن ديبور قد لاحظ مدى تأثر "الفارابـي" فـي جانـبه الأخلاقي بالفلسفة اليونانية، متمثلة فى شخص "أفلاطون وأرسطو طاليس"، وهذا ما سيتضح لنا فيما بعد.

فقـد كـان لدخـول كـتاب: "الأخـلاق النيقوماخـية" وكـتاب "الجمهوريـة"، حلـبة النقاش الفلسفي في القرن التاسع أعظم الأثر في تطـور الفكـر الخلقـي الإسلامي، وخاصة كتاب "الأخلاق النيقوماخية" لأرسـطو. فقـد أشار "ابن النديم" إلى تفسير الفارابي "لقطعة من كتاب الأخـلاق لأرسـطو طاليس" لعلها أول محاولة للغوص على معاني هذا الكتاب، أو بعض أجزائه بالعربية.[3]

---

(١) كتابنا : المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها ، صـ ٤٨ .
(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، لديبور ، ترجمة د/ أبو ريدة ، صـ ١٤٩ ـ ط : لجنة التأليف والترجمة ـ ١٣٥٧ هـ .
(٣) الفهرست ، لابن النديم ، صـ ٢٦٣ .

وإذا استثنينا الجانب الخلقي من "آراء أهل المدينة الفاضلة" فقد انطوى على لب فلسفة الفارابي الخلقية أربعة كتب رئيسية هى: "تحصيل السعادة" و "التنبيه على سبيل السعادة" و "الملة الفاضلة" و "الفصول المنتزعة". ويتضح للناظر فى هذه الكتب الأربعة لاسيما الأخير منها، مدى ارتباط هذه الفلسفة بالأخلاق الأرسطوطاليسية.

وبعد هذا التمهيد الذى رأينا من الضروري البدء به، ننتقل إلى الحديث عن الجوانب الأخلاقية فى فلسفة الفارابي، مبتدئين بالحديث عن النفس الإنسانية، لما لها من صلة وثيقة بالجانب الأخلاقي، ثم نثنى بالحديث عن الفضيلة وأقسامها، ثم نعقب بعد ذلك بالحديث عن السعادة عند الفارابي.

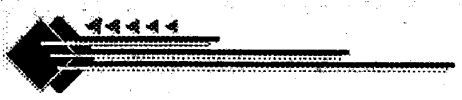

أولاً : النفس الإنسانية :

أخذ فلاسفة الإسلام مفهوم "النفس" – أو الروح – عن أرسطو طاليس، دون تحوير أو تبديل في صيغته، ثم جاء "المدرسيون" في الغرب فنقلوا هذا التعريف عن العربية إلى اللاتينية، فبدا لبعض الناس أنهم أخذوه عن النص الإغريقي مباشرة، والحق أن العرب كانوا نقطة الاتصال بين الأوربيين وبين "أرسطو" في النفس.

وليس من الغلو في شئ أن نقول إن هؤلاء "المدرسيين" لم يعرفوا آراء أرسطو في النفس إلا عن طريق "الفارابي" و "ابن سينا" و "الغزالي" و "ابن رشد" و "موسى بن ميمون" ربيب الفلسفة الإسلامية.(١)

وهكذا عرف فلاسفة الإسلام النفس بأنها: "كمال أول لجسم طبيعي آلي ذى حياة بالقوة". لكن هل ينبغي لنا أن نستنبط من هذا الاتفاق بينهم وبين "أرسطو" فى تعريف "النفس"، أنهم أخذوا عنه جميع آرائه فيها، فقالوا مثله بأنها صورة منطبعة في الجسم لا تنفك عنه، أى أنها توجد بوجوده، وتفنى بفنائه؟

الحقيقة هي أنهم لم يأخذوا عنه سوى تعريف النفس، والعناية ببيان وظائفها، بينما يكادون يجمعون من جانب آخر، على أنها: "جوهر روحي قائم بذاته".(٢)

وإذا كان فلاسفة الإسلام قد تابعوا "أرسطو" في تعريفه، فإنهم أيضاً أخذوا عن "أفلاطون" فكرة مفارقة النفس للبدن، وهذه الفكرة لم تتضح جيداً عند "أرسطو"، فبينما يفرد "أفلاطون" بحوثاً – محاورات –

---

(١) كتابنا : الروح بين الإيمان والإلحاد المعاصر، صـ ٩٦ ، ط: المطبعة العربية الحديثة ٢٠٠٣م.

(٢) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، د/ محمود قاسم، صـ ٧٢ ط: الأنجلو – ١٩٦٩م

للتدليل على خلود النفس، وسبقها للبدن ونزوعها المستمر إلى عالم المثل الخالد، نجد أن "أرسطو" لم يفصل بين النفس والبدن، بل جعل النفس هيئة للجسم، ولكنها هيئة عظيمة تزوده بالكمالات، ولم يتطرق إلى فكرة الخلود إلا حينما ذكر أن العقل – النفس الناطقة – هو الجزء الجدير بالخلود من النفس.(١)

وقد ذهب الفلاسفة المشهورون من المتقدمين والمتأخرين، إلى أن النفوس الإنسانية مجردة، وليست جسمانية، بل هى جواهر مجردة، وإنما تعلقها بالبدن تعلق التدبير والتصرف، ووافقهم على ذلك الإمام الغزالي، والراغب الأصفهاني، وجمع من الصوفية، وخالفهم في ذلك الجمهور.(٢)

وقد عرف "الفارابي" النفس، كما عرفها "أرسطو" من قبل، بأنها: (كمال أول لجسم طبيعي آلي، ذى حياة بالقوة، وهى أيضاً صورة للجسد)(٣)

هذا التعريف، معناه أن الإنسان جوهر واحد، مؤلف من هيولي وصورة، فالهيولي – المادة – هى الجسم، والصورة هي النفس، وهذا تعريف للنفس تابع فيه "الفارابي" أرسطوطاليس.

ويعنى الفارابي ومن قبله "أرسطو" بقوله "كمال أول" أن النفس صورة الجسم الجوهرية وفعله الأول، وبقوله "لجسم طبيعي"، أن الجسم الحي يختلف عن الجسم الصناعي الذى ليس له وجود ذاتي، والموجود

---

(١) كتابنا : الروح بين الإيمان والإلحاد المعاصر، صـ ٩٧

(٢) المواقف، صـ ٢٥٨. وأيضاً : المطالب القدسية في أحكام الروح، صـ ٢٤ – ٢٥.

(٣) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، تحقيق وتقديم د/ يتريص، صـ ٦٣ ، ط: ليدن ١٨٩٠م. وقارن: كتاب النفس لأرسطو، ترجمة وتحقيق د/ أحمد فؤاد الأهواني، صـ ٤٣، الكتاب الثاني، ط: الحلبي ١٩٤٩م.

بـــالذات أجزاؤه، وبقوله "آلى" أنه مؤلف من آلات – أى أعضاء – وهى أجزاء متباينة مرتبة لوظائف متباينة.(١)

ولكن لماذا سمى "أرسطو" ومن بعده "الفارابي" النفس كمالاً، وقد كـــان من الممكن أن يقولان إنها صورة فقط؟ إن السبب في هذه التسمية يـــرجع إلى أن وجود النفس شرف وكمال للبدن، وهى الشرط الأول، أو المباشـــر الذى لابد منه لنشاط الجسم، وينطبق هذا التعريف على جميع أنـــواع النفوس، فإن النبات يتغذى وينمو ويتوالد، وله نفس نباتية، هى شـــرف وكمـــال لـــــه، وكذلـــك الحيوان، يتغذى وينمو ويتوالد ويحس ويـــتحرك بـــالإرادة، فلـــه نفـــس حسية، هى شرف وكمال لـــه، وكذلك الإنسان، يتغذى وينمو ويتوالد ويحس ويتحرك بالإرادة، ويتخيل ويفكر، فله نفس أسمى من نفس الحيوان والنبات.

وحينـــئذ نـــرى أن المادة تقبل تعاقب الصور، فترتفع في مرتبة الوجـــود، ولذلـــك يمكن القول بأن النفس العاقلة التى يتميز بها الإنسان هـــى أســـمى وأكمل الصور التي يمكن نسبتها إلى الجسم الطبيعي الذى توجد فيه الحياة بالقوة.(٢)

والفارابـــي إلى جانب تعريفه الأرسطي للنفس، فإنه يتجه أيضاً فـــي تعريفه لطبيعة النفس اتجاها أفلاطونياً يتفق مع العقيدة الإسلامية، فهـــو يذهـــب إلى أن النفس الإنسانية "جوهر روحاني قائم بذاته"، وهي جوهر الإنسان عند التحقيق، وهي ليست عرضاً من أعراض الجسم.

فالإنســـان إذن مكون من عنصرين: أحدهما جوهر روحاني من

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، أ/ يوسف كرم، صـ ١٥٦ ، ط: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٤م.

(٢) في النفس والعقل، د/ قاسم ، صـ ٦٩ – ٧٠.

عـــالم الأمر، أى العالم الإلهي، والآخر البدن، وهو من عالم الخلق، أي العالم المادي، وفي هذا يقول أبو نصر الفارابي:

(أنت مركب من جوهرين، أحدهما: مشكل مصور مكيف، متحرك وســـاكن، متجســـد منقسم، والثاني: مباين للأول فى هذه الصفات، غير مشـــارك لـــــه في حقيقة الذات، يناله العقل، ويعرض عنه الوهم، فقد جمعـــت مـــن عالم الخلق – أى عالم الحس – وعالم الأمر – أى العالم الإلهي –، لأن روحك من أمر ربك، وبدنك من خلق ربك)[1].

فهذا نص صريح، على أن الفارابي كان يفرق بين عالمين، عالم الحس، وعالم العقل، متبعاً في هذا أفلاطون، إلا أنه يفترق عنه في كون "أفلاطـــون" يقـــول بوجود النفس قبل البدن فى عالم المثل، وهولا يقول بذلـــك، فهـــو ينفى وجود النفس فى عالم الأمر قبل وجود البدن، ويرى أنهـــا تحدث وقت حدوث البدن، واستعداده لقبولها، كما أنه يرفض فكرة "التناسخ" التى قال بها الفيثاغوريون وغيرهم، وفى هذا يقول "الفارابي": (لا يجـــوز وجـــود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون، ولا يجوز انتقال النفس من جسد إلى جسد، كما يقول التناسخيون)[2].

فلمـــا كانـــت الـــنفس كمـــالاً لجسم له طبيعة معينة خاصة به، فهـــي لهـــذا الســـبب تعد فردية شخصية لا يمكن أن توجد في أى جسم غـــير الجســـم الـــذى أعـــدت لـــــه، ويعـــد هذا نقداً من الفارابي ومن قـــبله أرســـطو، لآراء "الفيثاغوريـــين" – وغـــيرهم – الذيـــن يقولون: إن الـــنفس يمكـــن أن تحل في بدن حيوان، وتتعاقب في أبدان مختلفة،

---

(١) السابق ، صـ ٦٤ .
وقارن: فصوص الحكم للفارابي، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، صـ ٧١ – ٧٢ – ط: بغداد ، ١٩٧٦م

(٢) عيون المسائل، للفارابي، ضمن كتاب المجموع، صـ ٧٥، ط: الخانجي– ١٩٠٧م.

حسب نظريتهم في التناسخ".

ويقـــول أرســـطو معقباً على هذا الرأي: (إن أى شئ لا يقبل أى نفـــس كما اتفق، فكمال أى شئ ينشأ فيما هو هذا الشيء بالقوة، أى في الهيولي الملائمة له، فالنفس ضرب من الكمال، وصورة لما هو بالقوة، المستعد لقبول طبيعة معينة)[1]

وقد ذهب الفارابي في تفسيره لحدوث النفس مذهبا غريبا، حيث يقول: (إنها تفيض من العقل الفعال، وهو العقل العاشر، وهو الذى يطلق عليه اسم واهب الصور، أو روح القدس)[2].

ومـــا ســـبق يتبيـــن لنا أن الفارابي حاول التوفيق بين كل من تعريف "أفلاطون وأرسطو" للنفس، فمن جهة يقول كأفلاطون: إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق، وأنها لا تفنى بفناء البدن، وإن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوى، لكنه يقول من جهة أخـــرى تـــبعاً لأرســـطو، بأن النفس صورة وكمال للبدن، وأنها لا توجد قـــبله، وأن المـــادة هي سبب الاختلاف بين أفراد النوع الواحد، غير أن هذا التوفيق كما يقول الدكتور قاسم مضطرب قلق.[3]

(١) تاريخ الفكر الفلسفي، د/ محمد على أبو ريان، ١٢٣/٢ ـ ط: دار المعارف ـ ١٩٦١م.

(٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية، د/ محمود قاسم، صـ ٣٥ ط: دار المعارف ـ ١٩٧٦م.

(٣) في النفس والعقل، صـ ٧٣ ـ ٧٤، وقارن في الفلسفة الإسلامية ـ صـ ١٥٩.

قوى النفس الإنسانية :

إذا كان الإنسان يشترك مع سائر الحيوان بأن في نفسه قوى تفعل أفعالها بالآلات الجسمانية، فإنه يمتاز عنها بأن فيها ما لا يفعل بالآلات الجسمانية بل بقوة العقل. "وقوى النفس إما أن تكون محركة، أو تكون مدركة".

١- القوى المحركة:

أما أن تكون نامية أو نزوعية، فالأولى يشترك فيها النبات والحيوان والإنسان، ومنها الغاذية والمربية، والمولدة، وغايتها تنمية الكائن الحي وحفظ وجوده وحفظ نوعه بالتالي. والثانية يكون بها نزوع الإنسان نحو المحبة أو الإيثار أو الشوق أو الأمن، أو نحو البغضاء أو العداوة أو الخوف، وما إلى ذلك من الانفعالات، وبها تكون الإرادة أيضا.

٢- القوى المدركة:

إما أن تكون حساسة أو متخيلة أو ناطقة، والقوة الحساسة إما أن تعتمد على الحواس الخمس، أو على الحس الباطن، فإن أدركت الأولى الملموسات والطعوم والروائح والألوان والأصوات، فإن للثانية إدراكاً فوق ذلك، وهو ما يسمى بالإحساس الباطن، وإن كانت حقيقة الإدراك هى للنفس في مجموعها.

أما القوة المتخيلة: فهي التى تركب من صور المحسوسات، بعد غيبتها عن الحس، تركيبات بعضها صادق إذا طابق الحقيقة والواقع، وبعضها كاذب إذا لم يطابق الحقيقة والواقع، فتدرك النافع والضار، واللذيذ والمؤذي والجميل من الأفعال والأخلاق، وهي إن سميت عند الحيوان وهما، فهي عند الإنسان مفكرة.

وأمـــا القوة الناطقة: فهي التي توجد عند الإنسان فقط، وبها يعقـــل المعقـــولات، ويميز بين الغث والثمين. وهى إما أن تكون نظرية، يعرف بها الإنسان المعرفة في ذاتها، أو عملية يعرف بها الإنسان المهن والصـــناعات، ويحـــدث فـــيها نزوع نحو ما تفعله، فإن كل إحساس أو تخـــيل، يعقـــبه نـــزوع كنتيجة ضرورية لازمة لزوم الحرارة عن جوهر النار، وهذا النزوع يأتي بعد أن تميز النفس بين الجميل والقبيح.(١)

هذه هي قوى النفس عند "الفارابي" يمكن أن نحصرها في خمس قـــوى: "القـــوة الغاذية" و "القوة الإحساسية" و "القوة المتخيلة" و "القوة الـــناطقة" و "القـــوة النزوعـــية"، وهـــي ليست مستقلة كالقوى الأربع، كالحـــرارة التـــي تـــتكون من النار والشمس في وقت واحد، هذه القوى الخمـــس المتصـــلة تكون "النفس البشرية" عند الفارابي، فكأن مجموع أفعالها هي مظاهر ووظائف للنفس.

ويـــرى الفارابـــي: أن هذه القوى الأربع، ليست مستوية في الرتبة، وإنما هى درجات بعضها فوق بعض، بل سبق أدناها إلى الوجود أعلاها، وإن رياستها جميعا إنما هى للقوة الناطقة التى تميز وتحكم فهي كما أن لها اختصاصات تنفرد بها، تستطيع كذلك أن تصدر الأمر الفاصل في اختصاصات القوى الأخرى(٢).

والفارابـــي في جعله قوى النفس مراتب، يفضل بعضها البعض الآخر، يكون بذلك محتذياً حذو أستاذه "أفلاطون" في تقسيمه قوى النفس

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، للفارابي ، صـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ط: صبيح.
وقارن : الفارابي من نوابغ الفكر العربي، د/ سعيد زايد، صـ ٤٦ ـ ٤٧ ، ط: دار المعارف.

(٢) من أماجد مفكري المسلمين الفارابي وابن سينا ، د/ محمد غلاب ، صـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ١٩٦١م.

إلى ثلاث قوى العاقلة، والغضبية، والشهوية، وجعله القوة العاقلة أرقى القوى الثلاث.[1]

والفارابـــي في تقسيمه للنفس هذا التقسيم، يكون متبعاً فى ذلك لأرســطو فى تعريفه الآخر للنفس بأنها: "ما به نحيا ونحس وننتقل في المكان ونعقل"[2]، إذن فالنفس مبدأ النمو والحس والعقل ، وما يتبع ذلك من النزوع والحركة المكانية.

وهــذا التعريف ينصب على وظائف النفس بالإجمال، من نباتية وحاســة وناطقــة. وهذا التعريف أوضح من التعريف الأول، لأنه يعرف النفس بالأفعال الصادرة عنها، أما التعريف الأول فهو مستخرج من آراء أرسطو فى المبادئ الطبيعية.

فالــنفس عــند أرسطو ثلاثة أنواع هي: النفس النامية، والنفس الحاســة، والــنفس الناطقة، ولهذه الأنواع ترتيب يدل على أن كل نوع مــنها يفــرض وجود النوع الذى قبله. فالنفس "الحاسة" تفرض وجود الــنفس "النامية"، والنفس "الناطقة" تفرض وجود النفس "الحاسة"، وإذا كانت النفس "النامية" موجودة فى النبات دون الحس والعقل، فإن النفس الحاسة موجودة فى الحيوان، والنفس الناطقة موجودة في الإنسان.[3]

والــنفس الناطقة، بها الحكم والإدراك والإرادة والاختيار، وبهذا الــنوع من النفس يمتاز الإنسان عن الحيوان، فالنفس الناطقة هي نفس الإنسان، وهذه النفس لها جانبان مختلفان:

---

(١) كتابنا : المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها، صـ ٥٤

(٢) النفس لأرسطو ، صـ ٥٠ .
وقارن : تاريخ الفلسفة اليونانية ، صـ ١٥٦

(٣) كتابنا : الفلسفة الإغريقية من طاليس إلى أبرقلوس ، صـ ٣٨٥ ، ط: الصفا والمروة – ١٩٩٧م.

الأول سلبي: ويسمى العقل بالقوة، ووظيفته تقبل صور الموجودات، وهذا الجانب من النفس يفسد ويتلاشى بفساد الجسم، فليس له خلود بعد فناء الجسم، لأنه لا يمكن أن يوجد بغير الجسم، وهذا الجانب يشمل الإحساس والحس المشترك والمخيلة.

والثاني إيجابي: ويسمى العقل الفعال، وبه ينتقل الجانب السلبي من القوة إلى الفعل، وهذا الجانب الإيجابي أزلى أبدي، جاء إلى الجسم من الخارج، ويفارقه عند الموت، وهو عام لكل الناس، فهو أشبه بالشعاع النوراني، ينبعث من الله المبدأ الأول، فيوجد في النفوس جميعاً، ثم يعود بعد فناء الأجسام إلى المبدأ الذى صدر عند فيتلاشى فيه كما كان من قبل.

يفهم من هذا، أن النفس الناطقة لدى أرسطو نوعان: نفس خاصة، وهى الجانب السلبي، وهى خاصة بكل فرد من أفراد الإنسان، وتشمل الإحساس والحس المشترك والمخيلة، وهذه النفس صورة الجسد تفسد بفساده. ونفس عامة، وتسمى العقل الفعال، وهو واحد عند كل أفراد الإنسان، وهو الباقي بعد فناء الأجسام، فهو لا يهلك، لأنه أزلى قد جاء إلى الجسم من الخارج، أى جاء من الإله فهو يعود إليه.[1]

مسألة خلود النفس عند الفارابي :

أما عن موقفه من مسألة "خلود النفس"، فهو مضطرب، يعتريه نوع من التردد والتناقض، فيقول به تارة، وينكره تارة أخرى، وفي هذا يقول الدكتور قاسم: (ربما كان أبو نصر الفيلسوف المسلم الوحيد، الذى

---

(١) كتابنا : الروح بين الإيمان والإلحاد المعاصر ، صـ ٧٢

عجز عن التحرر تماماً من فلسفة أرسطو في هذه المسألة. فإنه لما كان يقول إن النفوس الإنسانية صور لأجسامنا، ولما كان يرى أن المادة هى السبب الذى يؤدي إلى اختلاف الأفراد فيما بينهم، فإنه لم يتردد في الجزم بفناء النفوس الخاصة.(١)

وكأنه أراد أن يخفف بعض الشئ من شدة الخلاف بين هذا الرأى وبين العقيدة الإسلامية، فذكر أن هذا الفناء ليس مطلقاً، بل هناك نوع آخر من الخلود، ولكن هذا الخلود الخاص لا يتاح لجميع النفوس على حد سواء.(٢)

ويوضح "الفارابي" هذه الفكرة، في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" فيفرق بين ثلاث نفوس، فيحكم لذوات المعرفة منها بالخلود، ويضع ذوات الجهالة في صفوف القوى الحيوانية التى تفنى بفناء الأبدان، وفي هذا يقول: (هناك نفوس خيرة سعيدة، وهى نفوس أهل المدينة الفاضلة، وهذه إذا فارقت أجسامها اتحدت وسعدت، وكلما جاء فوج آخر من جنسها اتحد بها، وزادت سعادتها إلى ما لا نهاية.

وهناك نفوس أخرى أدركت معنى السعادة، غير أنها لم تعمل على تحصيل أسبابها، وهى نفوس أهل المدن الفاسقة، وهذه يكتب لها الشقاء، ويزداد شقائها كلما انضمت إليها نفوس من جنسها، وهناك نفوس غير كاملة، لأنها تحتاج إلى الجسم، وتبقى مثقلة به، فإذا جاء الموت تحللت أجسامها وفنيت هى، وهؤلاء يصفهم الفارابي بأنهم الهالكون الصائرون إلى العدم، على غرار البهائم والأفاعي والسباع)(٣)

---

(١) كتاب التعليقات ، للفارابي، صـ ١٤، ط: حيدر أباد الدكن.
(٢) في النفس والعقل ، صـ ١٦٦.
(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة ، صـ ٨٨ ، ٩١-٩٢.

فالنفس عند الفارابي لا تخلد إلا إذا ارتفعت إلى مرتبة من الصفاء، تؤهلها إلى الاتصال بمثيلاتها، ولا يكون الخلود إلا للنفس الكلية، وليس لنفس كل شخص على حده، وقد علق الدكتور غلاب على قول الفارابي بالخلود الكلي دون الفردي قائلاً: "والحق أن اضطراب أبي نصر في هذه النقطة لا يقل عن اضطرابه في سابقتها – يقصد اضطراب الفارابي في خلود النفس الشريرة – مهما دافع عنه المدافعون، وحاولوا توجيه عباراته إلى ما لا تحمله من المرامي، كقول بعض الباحثين – مثلاً –: إن النفوس عند الفارابي ليست جديرة بهذا الأسم إلا بعد وصولها إلى درجة "العقل المستفاد".[1]

وإذن فقوله بفناء النفوس الجاهلة، لا يتناقض مع قوله بخلود النفس، لأن نفوس الجهلاء ليست نفوساً على الحقيقة)[2]

واضطراب "الفارابي" في مسألة خلود النفس، هو الذى دفع ابن طفيل إلى أن يحمل عليه فى هذه المسألة. فهو يقول في رسالة حى بن يقظان: (فقد اثبت الفارابي في كتابه "الملة الفاضلة"، بقاء النفوس الشريرة بعد الموت فى آلام لا نهاية لها، بقاء لا نهاية له، ثم صرح في "السياسة المدنية" بأنها منحلة وصائرة إلى العدم، وأنه لا بقاء إلا للنفوس الفاضلة الكاملة، ثم وصف في شرح "كتابه الأخلاق" شيئاً من أمر السعادة الإنسانية، وأنها تكون في هذه الحياة التى في هذه الدار، ثم عقب ذلك كلاماً هذا معناه:

(وكل ما يذكر غير هذا، فهو هذيان وخرافات عجائز)، فهذا قد

---

(١) مرتبة العقل المستفاد ، مرتبة يصبح فيها العقل البشري قادراً على إدراك الصور المجردة، التى لم تخالط المادة أصلاً، وذلك مثل العقول السماوية أو المفارقة.
(٢) من أماجد مفكري المسلمين الفارابي وابن سينا ، صـ ٤٦.

يأس الخلق جميعاً من رحمة الله تعالى، وصير الفاضل والشرير في رتبة واحدة، إذ جعل مصير الكل إلى العدم)[1]

وقد خالف الفارابي أفلاطون في مصير النفس الشريرة (فأفلاطون يقر بخلودها بالشقاء، في حين أن الفارابي يقول بنهايتها كلية)[2] كما يقول بفناء النفوس الشريرة.

فالنفس عند أفلاطون خالدة وغير قابلة للفناء، وأن العناية الإلهية الساهرة ستحقق لكل منا فى عالم آخر ما يستحقه من جزاء على ما عمل فى هذه الحياة[3]، وبناء على ذلك، فهو يرى أن السعادة العليا لا تكون فى هذه الحياة، وإنما تكون في حياة أخرى تسعد فيها النفس بالخلود، لأن الموت فى نظره هو "خلاص الروح من شرور الجسد وبداية حياة جديدة.

وقد برهن "أفلاطون" على خلود النفس، بأدلة فلسفية كثيرة مثل: برهان "الحياة والحركة"، و"برهان الضدين" و "برهان التذكر" و "البساطة والتركيب" ، و "البرهان الخلقي".[4]

هذا هو رأى "الفارابي" فى خلود النفس، خالف فيه ما قرره الدين الإسلامي من خلود لها، فهو يقول بالخلود للنفس الفاضلة، وبالفناء للنفوس غير الفاضلة، وهذه ذلة من الفارابي حسبت عليه، وفى

---

(١) رسالة حى بن يقظان ، لابن طفيل ، تحقيق وتعليق أ/ أحمد أمين ، صـ ٦٢ ، ط: دائرة المعارف ١٩٥٢م

(٢) أفلاطون والفضيلة، انجلو شيكونى، ترجمة ميزسفيين، صـ ١٢٧ ط: دار الجيل ١٩٨٦م.

(٣) تاريخ الأخلاق ، د/ محمد يوسف موسى ، صـ ٨١ ط: دار الكتاب العربي، نقلا عن محاورة فيدون.

(٤) كتابنا : الجمهورية المثالية في فلسفة أفلاطون وموقف الإسلام منها ، صـ ١٢٠- ١٢١ ، ط: الصفا والمروة ـ ١٩٩٧م ، وكذلك كتابنا : المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها ، صـ ٦٧

هـذا يقـول أحد الباحثين: (واندفع الفارابي يتحدث عن مصير النفوس الفاضـلة، والـنفوس غـير الفاضلة، فهوى في وهدة الابتداع، وبرزت عناصـر الكفـر في تعاليمه، وتومئ إلى فناء الأجساد المؤدي إلى إنكار الحشـر الجسماني، وتنفي ما أنذر به الإسلام الكفار من نار أبدية آكلة، ومـا وعد به المتقين من جنة فيها من كوثر وعسل ولبن لا يتغير طعمه لذة للشاربين، وحور عين وغلمان...الخ.

وعلـم أن السـعادة الأخـروية لذة روحية، والشقاء الأبدي ألم نفساني، وجعل السعادة النفسية الدنيوية شرطاً لخلود النفس في السعادة الأخـروية، وقضـى علـى كثـير من النفوس بالفناء، خلافاً لما علّمت الأديـان، وأثبتـت الفلسـفة، فاحصاه "الغزالي" من بين الفلاسفة الذين علموا الكفر وأفسدوا العقيدة)[1]

هذا هو رأى الفارابي في خلود النفس، خالف فيه ما قرره الدين الإسـلامي من خلود النفس حتى تلقى جزائها في برزخها، ثم في حياتها الأخرى، ولا يسعني إلا أن أقول: ما كان ينبغي لفيلسوف مسلم كالفارابي أن يتشـكك فى أمر هو معلوم من الدين بالضرورة لا يحتاج إلى تفلسف المتفلسـفين، فكتاب الله تعالى مذدخر بالآيات القرآنية التى تشير وتبين فـي غـير لبس ولا غموض خلود النفس في الحياة البرزخية، والنفس والجسـد فـي الحـياة الآخرة، سواء في الجنة أو فى النار، فالمؤمنون خـالدون فـى الجـنة يتـنعمون بنعيمها الحسي والمعنوي، والكافرون خالدون في النار، يعذبون بسعيرها الحسي والمعنوي أيضاً.

---

(١) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية والإسلامية وآثار رجالها، عبده الشمالي ، صـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ط : بيروت سنة ١٩٧٩م.

ثانياً : الفضيلة وأقسامها :

الفضيلة من حيث مدلولها اللفظي تعنى: الفضل والزيادة.

أما في الإصلاح فمعناها: الاستعداد الدائم لفعل الخير. وقد حدها "ابن رشد" بقولـــه: (الفضيلة ملكة مقدرة لكل فعل هو خير من جهة ذلك التقدير، أو يظن به أنه خير)[١]

والفضـــيلة أوضـــح نتيجة من نتائج اعتياد المرء آداب الواجب، وعمـــل مـــا هـــو خير، فإذا اعتاد إنسان أن تكون أقواله مطابقة للحق والواقـــع، ألـــف ذلـــك وتكون في نفسه ميل يدفعه على الدوام إلى قول الصـــدق مـــن غـــير تكلف ولا كبير جهد، وإذا اعتاد أن يراعي مصلحة الجماعـــة، ويؤثـــرها على مصلحته الخاصة، ألف ذلك أيضاً، وتكون من تكراره ميل في نفسه، يدفعه إلى الإيثار، وإذا تكرر منه أن يفي بوعوده، صار الوفاء بالوعد خلقا له وميلاً فيه.[٢]

فالصدق والإيثار والوفاء بالوعد فضائل. ومن ذلك يظهر لك أن الفضيلة: "ميل مكتسب من تكرار أفعال طيبة تتفق مع القانون الأخلاقى، فهـــي عادة فعل الخير. وهي كل عادة طيبة إعتادتها الإرادة كالشجاعة، والثـــبات، والاعـــتدال والصـــراحة، ولـــذا يقال إن الفضيلة هى الخلق الطيب.[٣]

فـــإذا اعـــتادت الإرادة شيئاً طيباً سميت عادتها حينئذ "فضيلة"، وعلـــى هذا فإذا وصفنا إنساناً بأنه فاضل، فمعنى ذلك أنه ذو خلق طيب

---

(١) مدخل في علم الأخلاق ، د/ زقزوق ، صـ ١٤٣ ، ط: القاهرة ١٩٨٤م.
(٢) كتابنا : الأخلاق الإسلامية وأثرها على الفرد والمجتمع ، صـ ١٢٥ ـ ط : المطبعة العربية الحديثة ـ ١٩٩٩م.
(٣) الأخلاق ، أ/ أحمد أمين ، د/ أمين مرسي قنديل ، صـ ١٠١ ، ط : القاهرة ١٩٤٦ م.

اعتادت إرادته العمل حسب ما توصى به الأخلاق.

أما الرذيلة: فميل مكتسب كذلك من تكرار أفعال يأباها القانون الأخلاقي والضمير، فهى عادة فعل الشر، أو هى عادة سيئة للإرادة، مثل الجبن، والتردد، والإفراط، والتفريط، فالفضيلة خير والرذيلة شر.

والفضيلة لا يراد بها كل عمل أخلاقي، بل يراد بها الأعمال العظيمة التى يستحق فاعلها الثناء الجزيل. فلا يسمى دفع المرء ثمن ما اشتراه فضيلة، إنما الفضيلة: القيام بالعمل الكبير مع تحمل المشاق في سبيله، ويشهد لهذا المعنى اشتقاق الكلمة نفسها، فإنها مأخوذة من الفضل، وهو الزيادة، إذ أن المرء لا يعتادها إلا بعد جهاد مع أهوائه، ومحاربة الدوافع الوضيعة التى قد تبعده عن أداء الواجب وعمل الخير. فكل مرة ينتصر فيها على أهوائه وينزل عن لذة عاجلة فى سبيل تأدية الواجب، يقترب من الفضيلة درجه وكل مرة تضعف فيها إرادته فيخضع للمغريات التى تلهيه عن واجبه، يهبط إلى الرذيلة شيئاً فشيئاً حتى يوشك أن يتردى فيها.(١)

والرجل الفاضل هو من يكون فيه الميل إلى الفضيلة قوياً ثابتاً، حتى تتجه إرادته سريعة إلى الخير على الدوام، ويعمل مختاراً حسب القانون الأخلاقي، لا يجد في ذلك ضيقاً ولا عسراً، فالفضيلة هى عادة الإرادة الطيبة، والرجل لا يكون فاضلاً إلا بتوجيه إرادته أبداً نحو الفضيلة، معرضاً عن كل ما يلهيه عن أداء الواجب، وذلك يقتضيه جهداً متواصلاً، ويستلزم يقظة وانتباها لا يفتران، فالحياة الأخلاقية جهاد

---

(١) السابق ، صـ ١٠١ - ١٠٢

مستمر، ولكنها في الوقت نفسه اقتراب مستمر من المثل الأعلى والكمال الخلقي.

هـذا، وقـد احتل بحث الفضيلة مكاناً بارزاً في الفكر الإنساني، فالفضـيلة كلمة طالما ترددت على ألسنة العلماء والفلاسفة والأدباء من قديم العصور حتى اليوم، دون أن يجمعوا على تحديد معناها.

والبحـث فـي الفضيلة وأنواعها، هو حجر الزاوية في المذهب الأخلاقـي لـدى الفارابي، فالفضيلة هى الوسيلة الموصلة إلى السعادة، الـتى هـى الغاية المرجوة من وراء الأخلاق. فلذلك يصرح الفارابي في صدر كتابه "تحصيل السعادة": "بأن الأشياء الإنسانية التى إذا حصلت في الأمـم وفـي أهـل المدن حصلت لهم السعادة الدنيا في الحياة الأولى، والسـعادة القصوى في الحياة الأخرى، أربعة أجناس: الفضائل النظرية، والفضائل الفكرية، والفضائل الخلقية، والصناعات العملية)[1]

وقد ربط الفارابي مفهومه للفضيلة، بنظامه الفلسفي المبني على "الفـيض" لذلـك نـراه يعلل وجود الفضيلة، ويربط هذا الوجود بالعقول المفارقة، وبإدراك الإنسان الفاضل لهذا العقول.

فالإنسـان الفاضـل فى نظر "الفارابي" هو الذى يحسن المعرفة الفيضية ويدركها ويعمل بموجبها، لذلك يقول إن السلوك الإنساني سلوك أخلاقـي عـاقل، فهو يربط الأخلاق بنظرية الفيض، حيث يقول: (فالعقل هـو من كان فاضلاً وجيداً لروية في استنباط ما ينبغي أن يؤثر من خير أو يتجنب من شر)[2]

---

(١) تحصيل السعادة ، للفارابي ، صـ ٢ ، ط: دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٤٥هـ.
(٢) مقالة في معاني العقل، ضمن كتاب المجموع للفارابي ، صـ ٤٦

إن أسمى درجات الفضيلة تكمن فى الارتقاء لبلوغ وإدراك العقل الفعـال، ولا يـتم هذا إلا عن طريق المعرفة، معرفة النظام الفيضي، فلا فضـيلة للـذى لم يبلغ الفيض، ولا حكمة إلا عند الذين يدركون المعرفة الفيضية ويعملون بموجبها.(١)

فالفارابـي يـرى الفضـيلة في العلم والمعرفة، لذلك يقول: "إن الشـخص الذى يعلم ما في كتب أرسطو من غير أن يعمل بها خير ممن يعمـل بهـا ولا يعلمهـا) فلا شك أنه في هذا الرأى يتبع رأى "سقراط" وتلمـيذه "أفلاطـون" فـى الفضـيلة، اللذان جعلاها في العلم والمعرفة. فالمعـرفة عـند سقراط وتلميذه أفلاطون، رأس الفضائل وأسمى أنواع الخير، وأنها فوق العمل في الدرجة.(٢)

وخلاصة القول: إن الفضيلة لدى "الفارابي" مرادفة للحكمة، وهى وليدة المعرفة، وبذلك يكون الفارابي متبعاً هنا لسقراط وتلميذه أفلاطون فـي قولهمـا أن الفضـيلة هى العلم، ولكن معرفة الفارابي هنا فيضية وليسـت فلسـفية، فالمعرفة الفيضية هى التى تقر بالارتقاء إلى الأول، وبلـوغ الأول أو العقـل الفعـال، والعمل لمقتضيات الفلسفة الإشراقية الفيضية، فالعقل هو أصل الفضيلة، وهو السبيل المفضى إلى السعادة فى نظر الفارابي.

وإلـى هـنا يمكنـنا أن نقول إن العامل أو القاسم المشترك بين أفلاطـون والفارابي هى القاعدة العامة التي عليها ترتكز الفضيلة، وهذه

---

(١) أفلاطون والفضيلة ، صـ ١٢٨

(٢) تاريخ الأخلاق ، د/ محمد يوسف موسى ، صـ ١٧٦ ، ط : دار الكتاب العربي ١٩٥٣م.

وقارن : الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية ، د/ عوض الله حجازي ومحمد نعيم ، صـ ٢٣٢

القـاعدة هـي المعـرفة. فبالمعرفة فقد يستطيع الإنسان بلوغ سعادته، والمعرفة هذه هى أصل الفضائل، بل هي الفضيلة بالذات، ومنها تتشعب الفضائل وتحاكيها.[1]

أنواع الفضائل عند الفارابي:

لقـد ساق لنا "الفارابي" – فى كتابه تحصيل السعادة – تصويراً دقيقاً للفضائل التى يمكن أن توجد فى المجتمع المتحضر، فقرر لنا أربعة أنـواع: الفضـائل الـنظرية، والفضـائل الفكـرية، والفضائل الخلقية، والصناعات العملية.

"فمـن الواضح أن الفارابي في حديثه عن فضائل الأمم لا يجعل فـي بالـه تلـك الفضـائل الأخلاقية الأربع المشهورة، وهي: الحكمة، والشـجاعة، والعفـة، والعـدل، لأنها فضائل نفسية تخص الفرد، وهي موزعـة بحسـب قسـمة الـنفس عند "أفلاطون" إلى عاقلة، وغضبية، وشـهوانية، فالحكمة فضيلة العاقلة، والشجاعة فضيلة الغضبية، والعفة فضـيلة الشهوانية، ثم العدل أو الاعتدال، وهو التوسط بين هذه الثلاثة. ولكـنه يـنظر إلـى فضـائل الأمم من جهة أنها أمم، لا من جهة أنهم مجموعـة أفـراد، وهـو لذلك يسلك فى الأخلاق مسلكاً مخالفاً لطريق "أفلاطـون"، ويـأخذ برأى "أرسطو" من ضرورة التوسط والاعتدال، وأن تصبح الأخلاق عادة متأصلة بالممارسة، وعندئذ تسمى ملكة"[2]

---

(١) أفلاطون والفضيلة، صـ ١٢٧.

(٢) فضائل الأمم فى نظر الفارابي ، د/ أحمد فؤاد الأهواني ، صـ ٨١ – من حولية كلية الآداب ١٩٦٩م.

أولاً : الفضائل النظرية :

يقول الفارابي : "الفضائل النظرية، هى العلوم الأولى، التى الغرض الأقصى منها أن تحصل الموجودات.... وهذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منذ أول مرة من حيث لا يشعر ولا يدري، كيف ومن أين حصلت وهى العلوم الأولى، ومنها ما يحصل بتأمل وعن فحص واستنباط، وعن تعليم وتعلم، الأشياء المعلومة بالعلوم الأولى هي المقدمات الأولى، منها يصل إلى العلوم المتأخرة التى تحصل عن فحص واستنباط وتعليم وتعلم"(١)

معنى ذلك أن المعرفة تتم بطرق ثلاث: بديهي فطري، هو المعرفة الأولية، مثل الكل أعظم من الجزء، والضدان لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان، والثاني طريق استنباطي يحصل عن تأمل وفحص، والثالث طريق تعلمي، هو ثمرة التعليم والتعلم.

والفرق بين الطريق الأول، والطريقين الآخرين، أن الطريق الفطري تكون المعلومات فيه معلومة ابتداء على حين أن الطريقين الثانيين، تكون المعلومات فيهما "مجهولة"ن سواء أكانت بفحص أم بتعليم، ولهذا السبب فإنها تطلب وتكون موضع طلب، وتسمى بالإصطلاح "مطلوبات"، إذا فحص عنها والتمس علمها فالمطلوبات هى الموجودات المجهولة التى يلتمس العلم بها ومعرفتها لتحصيل الحق اليقين عنها.(٢)

فالفضائل النظرية هي، العلوم التى يكون الغرض منها حصول المعلومات فى الذهن ببراهين يقينية، فهي تعنى بمعرفة الكائنات على

---

(١) تحصيل السعادة ، صـ ٢
(٢) فضائل الأمم فى نظر الفارابي ، صـ ٨٢

اختلافها، حتى تتوصل في النهاية إلى معرفة المبدأ الأول لكافة الكائنات، وهو الباري (ﷻ).

ثانياً : الفضائل الفكرية :

ويعرفها الفارابي بأنها: هي التى تستنبط ما هو أنفع في غاية ما فاضلة. وأما القوة الفكرية التي يستنبط بها ما هو أنفع في غاية هى شر، فليس هي فضيلة فكرية بل ينبغي أن تسمى بأسماء أخرى.[1]

فالفضيلة الفكرية عند "الفارابي" هي التي غايتها استنباط الأنفع والأجمل للمدينة، والسبب في ذلك أنه من الممكن أن يستنبط الفيلسوف المدبر للمدينة أموراً نافعة كما يمكن أن يستنبط أموراً ظاهرة، ويمكن كذلك أن يستنبط أموراً حسنة أو قبيحة، لذا كانت الفضيلة الفكرية غايتها استنباط النافع الجميل.

فهذا النوع من الفضائل فيه ما يقتدر به على جودة الاستنباط لما هو أنفع فى غاية فاضلة مشتركة لأمم، أو لأمة، أو لمدينة،... وهى عنده أشبه أن تكون قدرة على وضع النواميس"[2]

إذن فالفضيلة الفكرية اجتماعية – مدنية – وليست فردية، وقد تتسع فتشمل الأمم كلها، أو تضيق فتشمل أمة واحدة، أو مدينة واحدة، ثم إن القدرة على وضع النواميس من اختصاصها دون الفضيلة النظرية.

---

(١) تحصيل السعادة ، صـ ٢١

(٢) السابق ، صـ ٢١ - ٢٢

ونخلص من ذلك إلى أن الفضيلة الفكرية هى القوة التى يستطيع بهـا المـرء استنباط ما هو الأنفع في غاية ما فاضلة، لطائفة من أهل المدينـة أو لمدينة، أو لأمة أو لأمم متعددة، كما يستطيع بواسطتها سن القوانين التى يسير عليها أهل المدينة الفاضلة.

ثالثاً : الفضائل الخلقية :

وهـي التـي يتوخى بها الإنسان فعل الخير، فمدارها البحث في السـلوك الأخلاقـي الإنسـاني، وتأتى في المرتبة بعد الفضائل الفكرية، فالفكرية بمثابة شرط لها، بها تستنبط الفضائل الخلقية.

ويرى "الفارابي" وجود علاقة تربط بين الفضائل الثلاث "النظرية" و "الفكـرية" و "الخلقية"، لكنه يرى أن الفضائل الفكرية تابعة للنظرية، غير أنها سابقة للخلقية، وفي هذا يقول: "فالفضائل الخلقية إنما يمكن أن تصـير موجـودة بعد أن صيرتها الفضيلة النظرية معقولة، بأن تميزها الفضـيلة الفكـرية، وتسـتنبط أغراضـها الـتى تصـير معقولاتهـا موجـودة باقـتران تلـك الأغـراض بها، فالفضيلة الفكرية إذن سابقة للفضائل الخلقية".(١)

وقـد أكد أحد الباحثين على العلاقة الوثيقة بين الفضائل الفكرية والخلقـية فـي قولـه: "أن هناك موازاة بين الفضيلة الفكرية، وبين الفضـيلة الخلقـية، بـل اكـثر من ذلك، فإن الفضيلتين قد تجمعان فى الشخص الواحد. ذلك أن الذى يستنبط الأنفع والأجمل لأجل غاية فاضلة فـى أمـة أو مدينة وكانت هذه الغاية الفاضلة خيراً، فمن الواضح إنما يستنبط خيراً فى الحقيقة يهواه لنفسه. فالتناظر إذن قائم وضروري بين

---

(١) تحصيل السعادة ، صـ ٢٧

الفضيلة الفكرية والفضيلة الخلقية، الأولى ينظر إليها من جهة المجتمع، والثانية من جهة الفرد، فإذا كان المستنبط بفكره يضع سنة لأمة تدوم مدة طويلة، فلابد أن تكون فضائله الخلقية بحسب ذلك"[1]

نخلص مما تقدم، أن الفضائل الفكرية والخلقية هما صنوان لا يفترقان، وكلاهما ينظر فى الوسائل الحسنة التى توصل في النهاية إلى غايات فاضلة، غير أنه يبدو أن الفضائل الفكرية كائنة فى الإنسان بالطبع، على حين أن الفضائل الخلقية كائنة بالإرادة، ... يؤيد ذلك قول "الفارابي": (إن الفضيلة الكائنة بإرادة هى الفضيلة الخلقية، والكائنة بالطبع هى الفكرية".[2] فالإرادة إذن هي التى تميز العمل الأخلاقي عند الإنسان.

رابعاً : الفضائل العملية :

الفضائل العملية هى "تحقيق الفضائل الخلقية بأفعال ظاهرة، بحيث تكون ترجمة أمينة للمبادئ الخلقية النظرية"[3]. فهى تهتم بتعيين ما هو خير ونافع، وتتولى نقله إلى حيز التنفيذ، وهي تحصل للإنسان إما بالأقاويل الاقناعية، والأقاويل الانفعالية، وإما بالإرادة.

يقول الفارابي: (وأما الفضائل العملية، والصناعات العملية يتعود الناس أفعالها بطريقتين: أحدهما بالأقاويل الاقناعية والأقاويل الانفعالية، وسائر الأقاويل التى تمكن في النفس هذه الأفعال والملكات،

---

(١) فضائل الأمم في نظر الفارابي ، د/ الأهواني – صـ ٩١
(٢) تحصيل السعادة ، صـ ٢٨
(٣) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، د/ محمد عبدالرحمن ، صـ ٤٥٥ ط: بيروت – ١٩٨٣م

تمكيناً تاماً يصير نهوض عزائمهم نحو أفعالها طوعاً، وتلك ممكنة بما أعطتها الملكات استعمال الصنائع النطقية، وبما يعود من استعمالها. والطريق الآخر هو طريق الإكراه، وتلك تستعمل مع المتردين المتعاصين من أهل المدن، والأمم الذين ليسوا ينهضون للصواب طوعاً من تلقاء أنفسهم ولا بالأقاويل)[1].

يفهم من هذا، أن الفضائل العملية ، وهى الفنون العملية المعروفة، تكتسب عند المعلم الثاني بأسلوبين من التأديب، أحدها الإقناع والاقتناع، والآخر الإكراه، بهما تنتقل الفضيلة من حيز النظر إلى حيز العمل والتطبيق.

وقصارى القول: أن الذى يمعن النظر في تقسيم الفارابي للفضائل التى تخص الأمم، يجدها تتدرج من النظر إلى العمل، من الفكر النظري الخالص إلى الفكر العملي الذى يختص بوضع النواميس، وهو العمل الذى يقوم به مشرع القوانين والسنن فى المدينة. ثم من العمل الخلقي وما يتصل بذلك من سلوك يبغي الخير، ويبتعد عن الشر، إلى العمل الذى يعد من جملة الصنعة والحرفة.

وتتدرج هذه الفضائل تدريجاً عكسياً حين يحملها الأفراد في الأمة على كواهلهم. فالفضيلة النظرية برغم أهميتها لا توجد إلا عند فرد واحد هو الملك، أو الإمام، أو الفيلسوف، والفضيلة الفكرية توجد عند قلة قليلة هم أعوان الملك، والفضيلة الخلقية توجد عند عدد أكبر من الأشخاص، أما الفضيلة العملية فإنها توجد في السواد الأعظم من الناس.[2]

---

(١) تحصيل السعادة ـ صـ ٣١

(٢) كتابنا : المدية الفاضلة فى فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها ، صـ ٦٨

وهـذه الفضـائل – سالفة الذكر – تقوم في نظر الفارابي على ركيزتيـن أساسيتين: أحدهما تعد بمنزلة الأساس والمبدأ، وهى "الخير"، والأخرى تعد غاية قصوى، وهى "السعادة" وأما الركيزة الأولى إذا انتفت مـن أى فضـيلة مـن الفضائل، فلا تسمى الفضيلة فضيلة، ولا يسمى صاحبها بالأسم الذى يطلق عليه.

فصـاحب الفضيلة النظرية، وهو الفيلسوف، أو الإمام، إذا تنكب طريق الخير، لا يسمى فيلسوفا، وصاحب الفضيلة الفكرية، إذا ابتعد عن الخير يكون شريراً، فمن يسلك طريق الخير في كل هذه الأمور يصل في الـنهاية إلـى الغايـة القصـوى الـذى يرمي إليها علم الأخلاق، وهى "السـعادة" فـي الحياة الأولى، والحياة الآخرة، فالأخلاق في نظر المعلم الثاني، ما هى إلا وسيلة لبلوغ غاية، إذ ليست هى غاية فى ذاتها.(١)

ويعقـب أحـد الباحثين على الفضيلة وأنواعها في نظر الفارابي بقولـه: (يمكننا القول بأن الفضيلة عند الفارابي هى واحدة فى أصلها، ومتـنوعة فى أفعالها، وهى واحدة من حيث مصدرها، لأن مصدرها هو الأول، ومتعددة نظرا لتعدد الأشخاص، ولتفاوت النفوس الإنسانية.(٢)

فالفارابـي يقـر بـتعددية الفضائل، نظراً لتعددية الحاجات التى تتطلبها أفراد المدينة الفاضلة، وإن كان يرى وحدة الفضيلة فى الغاية، فهـو يـتفق مع أفلاطون في هذه النقطة، فقد رأى أفلاطون أن الفضائل ثلاثة في النوعية ووحدة فى الغائية.(٣)

---

(١) السابق ، صـ ٦٨ ـ ٦٩
(٢) أفلاطون والفضيلة ، شيكونى ، صـ ١٣٠
(٣) السابق ، صـ ١٢٥

وقد تطرق الفارابي لموضوع الفضيلة وصلتها "بالطبع والعادة"، وهو يرى أن الفضائل والرذائل تحصل في النفس بتكرير الأفعال والتمرس بما كان خيراً منها، وهى الفضائل، وما كان شراً وهى الرذائل، على غرار ما ذكر "أرسطو" في كتابه "الأخلاق النيقوماخية"[1]، مردفا أنه لا يمكن أن يفطر الإنسان بالطبع على الفضائل، وإن أمكن أن يكون بالطبع معداً لفعل الفضيلة أو الرذيلة، أى أن يكون له استعداد طبيعي على اكتساب تلك الهيئات الناجمة عن العادة التى تعرف بالفضائل، وهذه الهيئات،متى استقرت في النفس صعب زوالها. ومع ذلك يميز الفارابي بين الهيئات والاستعدادات التى يمكن تغييرها بالعادة، والتى لا يمكن، وما يمكن اضعافه أو انتقاصه وما لا يمكن، وكل ذلك يتفق مع النظرة الأرسطوطاليسية إلى الفضيلة وصلتها بالعادة.[2]

الأخلاق الفارابية بين الفطرة والاكتساب :

يرى "الفارابي" أن الأخلاق الإنسانية جميعها، الجميل منها والقبيح مكتسبة، فإذا لم يكن للإنسان أخلاق محمودة، فباستطاعته أن يحصل عليها، بالعادة والتكرار والممارسة للفعل الخلقي الواحد زمانا طويلاً فى أوقات متقاربة، يؤيد ذلك ما يقوله الفارابي: "إن الأخلاق كلها الجميل منها والقبيح هى مكتسبة، ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق فاضل أن يجعل لنفسه خلقاً، ومتى صادف أيضاً نفسه في شئ ما على خلق ما إما جميل أو قبيح ينتقل بإرادته إلى ضد ذلك الخلق، والذى به

---

(١) فصول متنوعة ، للفارابي ، تحقيق فوزى نجار ، صـ ٣٠ ـ ط : بيروت ١٩٧١م.
قارن : الأخلاق النيقوماخية، لأرسطو ، الكتاب الثاني.

(٢) أبو نصر الفارابي في الذكرى الألفية لوفاته ١٩٥٠م ، صـ ١٠٦ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٣م

يكتسب الإنسان الخلق، أو ينتقل لنفسه عن خلق صادفها عليه هو "الاعتياد". وأعنى بالاعتياد تكرير فعل الشئ الواحد مراراً كثيرة زماناً طويلاً في أوقات متقاربة"[1]

والفارابي في هذا مسايراً للمعلم الأول "أرسطو" فى قوله: (أما الفضائل الأخلاقية فإنها تتولد على الأخص من العادة والشيم، ... وأننا لا نكسبها إلا بعد أن يكون قد مارسناها قبلاً، فالحال فيها كالحال في جميع الفنون الأخرى، لأنه في الأشياء التى لا يمكن فعلها إلا بعد تعلمها، نحن لا نتعلمها إلا بممارستها، حينئذ يصير الإنسان مثلاً، موسيقياً بأن يمارس الموسيقى، كذلك يصير المرء عادلاً بإقامة العدل، وهكذا في سائر الأفعال، وباختصار فإن الملكات لا تأتي إلا بعد التكرار الكثير للأفعال بعينها...الخ)[2]

من هنا نستطيع القول: إن الفارابي لا يرى وجود الفضائل والرذائل في الإنسان بالطبع أو الفطرة. ولكنه لا يمنع من أن يكون الإنسان مطبوعاً على استعداد معين، سواء كان استعداداً للفضيلة، أو للرذيلة. معنى ذلك أن يكون فعل أحدها سهل عليه من فعل الآخر فمن الناس من يكون استعداده لعمل الفضيلة أسهل عليه من الرذيلة وبالعكس.

وفى هذا يقول الفارابي: (لا يمكن أن يفطر الإنسان من أول مرة بالطبع ذا فضيلة، ولا ذا نقيصة، كما لا يمكن أن يفطر الإنسان بالطبع حائكاً ولا كاتبا. ولكن يمكن أن يكون بالطبع معداً نحو أحوال فضيلة أو رذيلة، بأن تكون أفعال تلك أسهل عليه من أفعال غيرها، كما يمكن أن

---

(١) التنبيه على سبيل السعادة ، للفارابي ، صـ ٧-٨ ط: حيدر آباد ١٣٤٦هـ.
(٢) الأخلاق النيقوماخية، لأرسطو ، جـ ١ ك ٢ ب ١ ف ١ ، صـ ٢٢٥ ، ٢٢٧-٢٢٨

يكـون بالطبع معداً نحو أفعال كتابة أو صناعة أخرى، بأن تكون أفعالها اسـهل علـيه مـن أفعـال غيرها، فيتحرك من أول أمره إلى الاستعداد الطبيعي نحو أفعال الحياكة ليس يقال فيه حياكة)[1]

فالفارابي هنا يفرق بين الفضيلة وبين الاستعداد الطبيعي نحوها، فهمـا فـي نظـره ليستا شيئاً واحداً، فهو يرى أن الأخلاق لا تكسب إلا بـتكرار وممارسة لعادة معينة لفعل معين. والفارابي هنا قد يكون متأثراً بقـول أرسطو: (إن الفضائل ليست فينا بالطبع وحده، وليست فينا كذلك ضـد إرادة الطـبع، ولكن الطبع قد جعلنا قابلين لها، وأن العادة تنميها وتـتمها فينا)[2]إن نظرة "الفارابي" إلى الأخلاق بأنها تكتسب بالممارسة، وأن الإنسـان الـذى لم يكن لديه أخلاق محمودة بوسعه أن يصل إليها بالعـادة، نظرة واقعية وملموسة، فالأخلاق المحمودة تنال بالفكر والنظر والتطبـيق العملي، ومصاحبة الأخيار ومجالستهم، وبالتعرف على سير الصـالحين، حـتى يعتاد الإنسان فعل الفضائل، وتصبح عنده عادة تطبع فـي نفسـه يصـعب التخلص منها، وبالعكس الأخلاق المذمومة تصير عـادة لـدى الإنسـان الـذى اعـتاد مصـاحبة الأشرار الفاسدين من الناس ومجالستهم.

فللفضـيلة وسائل متعددة تعين على غرسها فى النفس الإنسانية أهمهـا: تكوين العادات الصالحة فى الطفل منذ صغره، وذلك عمل الآباء والأمهـات فـي البيوت، والمدرسين فى المدارس، وخصوصاً المدارس الأولـى ، فهؤلاء وهؤلاء بإلزامهم الطفل أن يكرر عملاً صالحاً يعينونه علـى أن يصـبح ذلك العمل الصالح عادة لـه، كتعويده النظافة، وقول

---

(١) فصول منتزعة ، صـ ١١٠ ، قارن : التنبيه على سبيل السعادة ، صـ ٨

(٢) الأخلاق لأرسطو ، ك٢ ، ب ١ ، ف ٣ ، صـ ٢٢٦

الصـــدق والطاعـــة، ونحو ذلك وإذا تأصلت هذه العادات أصبح لها من السلطان عليه ما يقرب من الطبيعة التى خلق عليها الإنسان.

كذلك القدوة الصالحة، فهي تعين على غرس الفضائل، لأنها تثير الشـــعور، وتحى الضمير، وتكون القدوة بوسائل شتى منها: الصداقة، إذ الإنســـان يقترب جد الاقتراب من أخلاق من يصادقه، وكما قال بعضهم: (خبرنـــي من تصادقه، أخبرك من أنت)، فالصديق يؤثر في صديقه بخير أو بشر، فالصديق السيئ ينضح ذوقاً سيئاً، وأفكاراً سيئة، وأقوالاً سيئة، يتشربها صديقه، والصديق الصالح، ينضح ذوقاً صافياً، وأفكاراً صالحة، وأقوالاً نقية، يتأثر بها من ينعم بصداقته.

وقـــد رغبـــنا ســـيد الصالحين رسول الله -ﷺ-، فى مجالسة الصـــالحين كـــى نـــتخلق بأخلاقهم، وحذرنا من مجالس أهل السوء في حديـــثه النبوي الشريف والذى رواه عنه أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: حيث قال: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك - أي يعطيك - وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة)[1]

كـــل هذا يوجب علينا أن نعنى كل العناية بتخير الأصدقاء، وأن نفـــر مـــن الصديق السيئ كما نفر من المحموم، خشية العدوى، ونعده خطـــراً يهدد أخلاقنا، نهرب من مجلسه، ونفر من سماع قوله، ونتجنب رؤيـــة عمله، لأن الشر الذى يصدر منه يعلق بنا، وقد قال النبي -ﷺ- في هذا الشأن: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

كذلك من القدوة الصالحة التى تعين على الفضيلة، سير العظماء ورجال الأخلاق، إذ القراءة في كتب تراجم العظماء، وقصصهم وأعمالهم في حياتهم، تودع أذهاننا ذخيرة ننتفع بها في أعمالنا، وكما أن كثيرين ممن أجرموا، كان سبب إجرامهم قراءة رواية لص، أو مشهد سينمائي، أو نحو ذلك كذلك كثير من العظماء إنما كانوا عظماء برؤيتهم القدوة الصالحة، وتشبعهم بسيرة عظيم، رأوه أقرب إلى نفوسهم، فعرفوا تفاصيل حياته، فكانت منبعاً لعظمتهم.(١)

وما الحياة الأخلاقية، إلا حياة تأثير وتأثر، فكل إنسان يتأثر بمن حوله، ويؤثر فيمن حوله، كالشئ الحار والبارد، فإنهما إذا تلامسا اكتسب الحار برودة، والبارد حرارة، فيجب أن نعنى بهاتين الناحيتين، فمن ناحية التأثير: يجب أن نكون قدوة صالحة لأصدقائنا، والذين يعاملوننا ونعلم أن عملنا الشر، ليس مقصوراً علينا، بل إنه سيسهل لآخرين أن يعملوا الشر كما عملنا، فنضع نصب أعيننا أن يكون مثلنا الأعلى: لو عرضت حياتنا بجميع دخائلها على الناس لم يجدوا فيها إلا خيراً يحتذى.

وقصارى القول: إن العادات الصالحة التى نعتادها في صغرنا، والقدوة الحسنة التى تحي ضمائرنا من أصدقاء منتقين، وكتب مختارة تشرح سير العظماء وعمل الصالحين، ودراسة علم الأخلاق، كل ذلك جدير أن يشحذ ذهننا لمعرفة الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، ويقوي إرادتنا للعمل على تحصيل الخير والفضيلة، والابتعاد عن الشر والرذيلة.

---

(١) كتابنا : الأخلاق الإسلامية وأثرها على الفرد والمجتمع ، صـ ١٣٩ ـ ١٤٠.

وقد برهن المعلم الثاني على صحة كلامه أن الأخلاق تكتسب بالعادة بمثال سياسي يقول فيه: "والدليل على أن الأخلاق إنما تحصل عن العادة، ما تراه يحدث في المدن، فإن أصحاب السياسات إنما يجعلون أهل المدن أخيار بما يعودونهم من أفعال الخير)[1]

فهذا المثال، يدل على مدى اهتمام الفارابي بالدولة، حيث يرى أن مهمة القائد فى الدولة، هى توجيه الأفراد نحو الأخلاق الفاضلة، والسنن الحميدة، واهتمامه في نفس الوقت بربط السياسة بالأخلاق في مدينته الفاضلة، وهو فى موقفه هذا، يحذو حذو أستاذه "أفلاطون" في ربط السياسة بالأخلاق، وجعله مهمة القائد هي توجيه أفراد مدينته إلى الأخلاق الحميدة التى توصلهم في النهاية إلى السعادة في الدارين، فغاية كل من أفلاطون والفارابي من الأخلاق هى الوصول إلى السعادة، وإن كان كل منهما يختلف في تفسيره للسعادة عن الآخر. كما أن أفلاطون صار على نهج أستاذه "سقراط" في اعتبار أن الفضيلة أمر طبيعي في النفس، لا يحصل بالمران والتعليم، وهو بذلك يخالف رأي الفارابي في هذه المسألة.[2] ولكن لو أخذنا برأى أفلاطون القائل أن الفضيلة أمر طبيعي في النفس، فمعنى ذلك أن الطبيعة الإنسانية لا يمكن أن تأتى الشر متعمدة لأنها لم تخلق إلا للعلم والفضيلة، وهذا يستلزم القول بأن الرذائل التى تصدر من الإنسان تعتبر لا إرادية.[3] وما دامت لا إرادية أفيتعلق بها عقاب، أو تقع بسببها مسئولية؟.[4]

---

(١) التنبيه على سبيل السعادة ، صـ ٨ ـ ٩

(٢) كتابنا : الجمهورية المثالية في فلسفة أفلاطون وموقف الإسلام منها ، صـ ١١١ ـ ١١٦

(٣) الأخلاق بين الفلسفة والإسلام ، د/ عبدالمقصود عبدالغني ـ صـ ٣٤

(٤) مدخل إلى الأخلاق ، د/ محمد كمال جعفر ـ صـ ٥٠

والحق أن أفلاطون قد أخفق في هذه المسألة، وهي إلغائه المسئولية عن الإنسان، وسلب حرية الإرادة منه، وجعله مجبراً في جميع أفعاله خيراً كانت أم شراً، وإن كان في نظرته هذه متفائلاً، إلا أن الإنسان مسئول عما يفعله أمام الناس، وأمام القانون، وأمام الله تعالى، فالله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1] أي مآخذة ومحاسبة على ما تعمل.

الفارابي ونظرية الوسط الأخلاقي:

يلعب الاعتدال أو التوسط دوراً رئيسياً في نظرة الفارابي إلى الفضائل، على غرار أرسطو، لقد شغف الفارابي بنظرية الوسط الأخلاقية، فأراد تطبيقها على سائر الأفعال الجميلة، فهو يرى أن الفعل المتوسط بين التفريط والإفراط هو الفضيلة الحقة، وهو بلا شك متأثر في هذه النظرية بنظرية "الوسط الأرسطية" فهو يقول: "إن الأفعال التي هي خيرات هي الأفعال المتوسطة بين طرفين هما جميعاً شر، أحدها إفراط والآخر تفريط، وكذلك الفضائل فإنها هيئات نفسانية، وملكات متوسطة بين هيئتين كلتاهما رذيلتان، أحدها أزيد والآخر انقص"[2]

وهذا تعريف أرسطي من حيث الجوهر، لكنه يختلف عنه ببعض التفاصيل، فتعين الوسط عند أرسطو من اختصاص الرجل "المتعقل" أي صاحب ملكة الروية العظمى، بينما يرى الفارابي على خلاف ذلك، أن المستنبط للمتوسط، أو المعتدل في الأخلاق والأفعال هو مدير المدن والملك، والصناعة التي يستخرج بها ذلك، هي الصناعة المدنية والمهنة

---

(١) المدثر : آية ٣٨

(٢) فصول منتزعة ، للفارابي ، صـ ١١ ، قارن : الأخلاق إلى النيقوماخوس ، ك ٢ ب ٢ ف ٨ ـ ١٣ ، صـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧

الملكية، كما يستنبط الطبيب المتوسط والمعتدل من الأغذية والأدوية.[1]

ومع ذلك، فهو يتفق اتفاقاً تاماً مع أرسطو في باب التمييز بين معنيي المتوسط، وهما المتوسط في نفسه، والمتوسط بالإضافة إلى غيره، أو كما يقول أرسطو بالنسبة إلينا، ويضرب على الأول المثال الذى ضربه أرسطو عينه، وهو توسط الستة بين العشرة والاثنين، مردفاً أن من طبيعة هذا المتوسط أنه لا يزيد ولا ينقص خلافاً للثاني الذى يزيد وينقص، بحسب اختلاف الأوقات والأشخاص والأشياء، ويضرب على ذلك مثلاً الغذاء بالنسبة إلى الصبي وبالنسبة إلى الرجل التام الكدود، بينما يضرب أرسطو مثال الصبي المبتدئ والمصارع الشهير مليون.[2]

ومما تجب ملاحظته: أن الفضيلة وإن تكن من حيث ماهيتها وسطا بين طرفين مرذولين، إلا أنها من حيث الخير حد أقصى، وقيمة عليا، إذ أن الوسط هو ما تعنيه الحكمة بعد تدبير جميع الظروف، وهو ما يجب فعله "هنا والآن"، فهو خير بالإطلاق، تابع لنية الفاعل، لا لكمية المفعول.[3]

والفارابي - ومن قبله أرسطو - حين يقرر أن الفضيلة ملكة اختيار الوسط العدل، لا يقصد بالوسط، الوسط الرياضي - الحسابي - المحدد، الواقع على مسافة واحدة من طرفين فلا يتغير، بل يقصد وسطاً إضافياً اعتبارياً، يختلف باختلاف الأفراد والظروف، التي يواجهونها،

---

(١) فصول منتزعة ، صـ ٣٩

(٢) السابق ، صـ ٣٧

قارن : الأخلاق لأرسطو ، الكتاب الثاني ١١٠٦ ب ١-٧

(٣) دروس في تاريخ الفلسفة ، د/ إبراهيم مدكور ، ويوسف كرم ، صـ ٣٥ - ٣٦ ط : القاهرة ١٩٥٤م.

كما يتفاوت بتفاوت أحوال الفرد نفسه، "فالكرم" مثلاً بالنسبة للفقير غيره بالنسبة للغني، كما أنه بالنسبة للفرد نفسه حال فقره غيره حال غناه، لذلك نعد "الشجاعة" – مثلاً – وسطاً عدلاً بين إفراط هو التهور وتفريط هو الجبن، ونعد "السخاء" وسطا عدلاً بين إفراط هو التبذير وتفريط هو التقتير، ونعد "العفة" وسطاً عدلاً بين إفراط هو الشره، وتفريط هو الجمود.

ويدل على أن الوسطية الفارابية – ومن قبلها الأرسطية – اعتبارية لا حسابية، أن كلاً من الشجاعة والسخاء والعفة، تتفاوت أوساطها بتفاوت الأفراد واختلاف الظروف. فإذا سخا الفقير بدرهم وعد ذلك جوداً بالنسبة إليه، لا يكون كذلك بالنسبة لغني كثير المال، بل يعد ذلك بخلاً ونقصاً، فالوسط اعتباري لا حسابي، ثم إن الوسط الفاضل اعتباري لا حسابي حتى مع غض النظر عن الشخص وظروفه وذلك أنه أميل لأحد الطرفين منه للآخر، فالشجاعة أقرب إلى التهور منها إلى الجبن، والسخاء أقرب إلى التبذير منه للتقتير، والعفة أقرب لجمود الشهوة منها للشره، أى أنه تارة يكون أقرب للإفراط، وطوراً يكون أقرب منه للتفريط.[1]

وقد أورد الفارابي نماذج تطبيقية للفضائل الأخلاقية الجميلة ومتوسطاتها، كى يتطرق الذهن إلى مطالعة ما هو أجمل، فهو يقول: "إن الشجاعة خلق جميل، وتحصل بتوسط في الأقدام على الأشياء المفزعة والأحجام عنها، والزيادة في الإقدام عليها تكسب التهور، والنقصان من الإقدام يكسب الجبن، وهو خلق قبيح، ومتى حصلت هذه الأخلاق صدرت

---

(١) كتابنا : الفلسفة الإغريقية ، صـ ٤٠٠ ـ ط : الصفا والمروة ـ ١٩٩٧م

عـنها هـذه الأفعـال باعـيانها. والسخاء يحدث بتوسط في حفظ المال وانفاقـه، والزيادة في الحفظ، والنقصان فى الإنفاق يكسب التقتير وهو قبـيح، والزيادة فى الإنفاق والنقصان في الحفظ يكسب التبذير، والعفة تحدث بتوسط في مباشرة التماس اللذة التى هي عبارة عن طعم ونكاح، والـزيادة في هذه اللذة تكسب الشره، والنقصان فيها يكسب عدم الحس بـاللذة، وهـو مذمـوم، ومـتى حصلت هذه الأخلاق صدرت عنها هذه الأفعال" [1]

هـذه هـي خلاصة نظرية الوسط الفارابية، وفق فيها الفارابي، فهـي نظرية واقعية وملموسة، فخير الأمور الوسط، الذى لا إفراط فيه ولا تفـريط، وهو إن كان قد تأثر فيها بأرسطو، فهو بلا ريب متأثر فيها بالإسـلام فـى المقام الأول، فهو فيلسوف مسلم، قد قرأ كتاب الله تعالى الـذى فـيه الكثير من الآيات التى ترغب الإنسان في التزام الوسط في سائر الأفعال، فهي مزيج من الأفكار اليونانية والإسلامية معاً، وهذه هي عادة الفارابي في سائر نظرياته الفلسفية التى حرص عليها دائماً، وهي التوفيق بين الدين والفلسفة.

والآيات القرآنية الدالة على الوسط كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾[2] ، وقولـه: ﴿ وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[3] ،

---

(١) التنبيه على سبيل السعادة ، صـ ١١ ـ ١٢ ، قارن : الأخلاق لأرسطو ، ك٢ ، ب ، ف ١ ـ ١٣

(٢) الإسراء آية : ٢٩

(٣) البقرة آية : ١٤٣

وقولـــه: ﴿ والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾[1].

والـذى نـأخذه على الفارابي في نظرية الوسط الأخلاقي، عدم استدلاله بالنصوص القرآنية الدالة على ذلك في هذا المقام، كفيلسوف مسلم فـي المقـام ألأول، في حين نجد أن كتاباته في الجانب الأخلاقي عامة، وهذه النظرية خاصة، ظاهرة فيها النزعة الأرسطوطاليسية، ومما يؤخذ عليه أيضاً إهماله المقارنة بين مفهوم الوسط في القرآن، والوسط عـند أرسطو، فكان الأجدر به أن يعقد مقارنة في هذا الصدد، يتضح من خلالها السمات التى يتميز بها الإسلام عن أى فكر بشري آخر، فهذه بلا شك ثغرة في فلسفة الفارابي الأخلاقية تحسب عليه.

ثالثاً : السعـادة الـفارابيـة

ليس من شك في أن البشر جميعاً ينشدون السعادة، فإن السعادة ليسـت مجـرد خير نسبي متغير كاللذة، بل هي الخير المطلق، أو الخير الأسمى، والفارق بين "اللذة" و "السعادة"ن أن الأولى جزئية في حين أن الثانية كلية. فاللذة في العادة مرتبطة بمنطقة ما، من مناطق الجسم، في حين أن السعادة حالة نفسية تستوعب كيان الإنسان كله.

والصلة وثيقة بين الخير والسعادة، لأن الرجل الفاضل وحده هو الـذى يحقـق الانسـجام بيـن سائر قواه، ومثل هذا الانسجام إنما هو السـعادة بعينها، ومعنى هذا أن خير الإنسان إنما هو في صميمه ضرب من النظام والتناسب والانسجام.

---

(1) الفرقان آية : ٦٧

وهذه الرابطة الوثيقة التى تجمع بين السعادة والخير، إنما تنشأ من أن كلا منها يستلزم تحقيق القوى الكامنة في صميم الطبيعة البشرية تحقـيقاً مليئاً كاملاً. ولابد للإنسان من أن يستشعر السعادة، حينما يحقق ما تقضى به طبيعته، فإن توافق الإنسان مع نفسه هو السعادة بعينها.[1]

ونظرية السعادة، تشغل مكانة بارزة في فلسفة الفارابي الأخلاقية والسياسية معاً، فهي الغاية التى يسعى علم الأخلاق إلى تحقيقها، إذ أنها ثمـرة الأخلاق لدى الفارابي وغيره من الأخلاقيين، فهي نتيجة للمعرفة الحقـة، وعمـل الخير واكتساب الفضائل، والبعد عن الشرور والرذائل، وهـو يـتفق مع أفلاطون في جعل السعادة الهدف المنشود الذى يسعى الإنسان إلى تحقيقه.

يقول الفارابي: (أما أن السعادة هى غاية ما يتشوقها كل إنسان، وأن كـل من ينحو بسعيه نحوها، فإنما ينحوها على أنها كمال ما، فذلك ما لا يحتاج في بيانه إلى قول، إذ كان في غاية الشهرة، وكل كمال غاية يتشـوقها الإنسان فإنما يتشوقها على أنها خير ما فهو لا محالة مؤثر، ولمـا كانـت الغايـات التى تشوق على أنها خيرات مؤثرة كثيرة كانت السـعادة إحدى الخيرات المؤثرة، وقد تبين أن السعادة من بين الخيرات أعظمهـا خيراً، ومن بين المؤثرات أكمل كل غاية يسعى الإنسان نحوها، والخـيرات التى تؤثر، منها ما يؤثر لينال بها غاية أخرى، مثل الرياضة وشرب الدواء، ومنها ما يؤثر لأجل ذاتها، وتبين أن التي لأجل ذاتها آثر وأكمل من التى تؤثر لأجل غيرها.[2]

---

(١) مبادئ الفلسفة والأخلاق ، د/ زكريا إبراهيم ، صـ ٨٧ ، ٨٩
قارن : كتابنا : الجمهورية المثالية ، صـ ١١٦ - ١١٧
(٢) التنبيه على سبيل السعادة ، صـ ٢

يفهم من كلام الفارابي هذا، أن السعادة غاية وكمال، وأعظم الخيرات التى يطلبها الإنسان ويسعى إلى تحقيقها، فهى الغاية التى تؤثر لأجل ذاتها في سائر الأوقات، وهى مغايرة لسائر الخيرات التى لا تؤثر لأجل ذاتها، بل لغايات أخرى مثل الرياضة، وتناول الدواء، الذى يقصد به الصحة.

ويرى الفارابي أن السعادة التى هى الغاية القصوى، التى ليس بعدها غاية، تطلب لذاتها، لا لشئ آخر وراءها، وفي هذا يقول الفارابي: (السعادة هى الخير المطلوب لذاته، وليست تطلب أصلاً ولا في وقت من الأوقات لينال بها شئ آخر، وليس وراءها شئ آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها)[1]

وقد ربط الفارابي بين السعادة والخير، فهو يقول: (إن السعادة هى الخير على الإطلاق، وكل ما ينفع في أن تبلغ به السعادة وتنال به، فهو أيضاً خير، لا لأجل ذاته، لكن لأجل نفعه في السعادة)[2]

ويعرف الفارابي السعادة بقوله: (هى أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، فى جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائماً أبداً، إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال، وإنما تبلغ ذلك بأفعال ما إرادية بعضها أفعال فكرية، وبعضها أفعال بدنية، وليست بأي أفعال اتفقت، بل بأفعال ما محددة مقدرة، تحصل على هيئات ما، وملكات ما مقدرة ومحدودة، وذلك أن من

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ـ صـ ٦١ ط : صبيح.
(٢) السياسة المدنية للفارابي ـ صـ ٤٢ ـ ط: حيدر.

الأفعال الإرادية ما يعوق عن السعادة)[1]

فالسعادة كما يفهم من هذا النص، هى حالة من حالات الروح، تتحرر فيها من المادة، وتربط بالجواهر المفارقة للمادة، وتنال السعادة فى نظر الفارابي بوسيلتين متلازمتين هما: (الأولى: إدامة الفكر والنظر في الأمور العقلية، والثانية: رياضة النفس على فعل الخيرات، والتمسك بالفضائل، ومجانبة الرذائل والشرور، فإذا ما تحققت للمرء الوسيلتان وصل إلى السعادة، واستكملت نفسه، واقتربت رتبته من رتبة الجواهر المفارقة)[2]

إذن فالسعادة تحصل للإنسان في نظر الفارابي بعد تحرره من روابط الجسم ومطالبه، ونزوات النفس وشهواتها دائماً، وذلك يمكن بالتأمل العقلي في الموجودات العقلية، والسلوك الفاضل الذى أساسه الأفعال الجميلة.

وبناء على ما تقدم من نصوص، نلمح في نظرية السعادة الفارابية، نزعة صوفية واضحة، فهو يربط بين السعادة، وكمال النفس، الذى لا يتم إلا بمفارقة النفس للمادة.

والسعادة التى يقول بها أبو نصر الفارابي، نستطيع أن نصفها بأنها سعادة خاصة ببعض الناس الذين صفت نفوسهم وتجردت من علائق المادة، واتصلت بالعقل الفعال، وفى هذا يقول الدكتور إبراهيم مدكور: (وواضح أنه ليس في مكنة الناس جميعاً، الصعود إلى مرتبة هذه السعادة، ولا تبلغها إلا النفوس الطاهرة المقدسة، التى تستطيع أن

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ـ صـ ٦١
(٢) الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية ، صـ ٢٢٣

تخترق حجب الغيب، وتصعد إلى عالم النور والبهجة)[1]

يؤيد هذا قول الفارابي فى رسالة "الثمرة المرضية": (ولا يتسنى بلوغ السعادة الكاملة إلا للنفوس الطاهرة المقدسة، التى لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق، ولا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه، وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس، أما الأرواح العامية الضعيفة، فإنها إذا مالت عن الباطن غابت عن الظاهر، وإذا مالت إلى الظاهر غابت عن الباطن، أما الروح القدسية فلا يشغلها شأن عن شأن، وإنما تجاوز عالم الحس لمشاهدة الحقيقة والبهجة الدائمة)[2]

هذه هى نظرية الاتصال التى قال بها الفارابي، واعتنقها الفلاسفة اللاحقون، فهي ضرب من التصوف النظري، القائم على البحث والدراسة.

يقول الدكتور مدكور: (ففي رأى الفارابي كما في رأى أرسطو، أن الحياة العقلية غاية فى نفسها، ومتى جد الإنسان في الدراسة، والنظر، والبحث والتفكير، تشبه بالله تعالى والعقول المفارقة التى هى إدراك مستمر وتأمل دائم. ومتى انقطع الإنسان إلى هذا المجهود النظري اقترب من الكائنات العلوية، وفاز بسعادة ليست وراءها سعادة، فأرسطو الواقعي مصدر الجانب الصوفي في الفلسفة الإسلامية، والسعادة الأرسطية عماد لنظرية السعادة الفارابية).[3]

---

(١) في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ، صـ ٣٧٨
(٢) السابق ، صـ ٤٢
(٣) نفس المصدر ، صـ ٤٢

يفهم من كلام الدكتور/ مدكور، أن الفارابي متأثر في نظرية السعادة بأرسطو، من أن السعادة تأتى عن طريق التأمل العقلي، وفى كون السعادة هى الخير الأسمى. ولكن ليس الأمر متوقفا على تأثر الفارابي بأفلاطون وأرسطو، ولكنه متأثر أيضاً بالأفلاطونية الحديثة التى أثرت في فلاسفة الإسلام عامة، وعلى رأسهم "الفارابي". "فالاتصال الذي قال به الفارابي، لا يختلف كثيراً عن "الاكستاسيس"، أو الجذب الذى قالت به مدرسة الإسكندرية، فالاثنان يعتمدان على التأمل والنظر، وينتجان هياما وغبطة، تخرج بنا من عالم الحس والمادة، إلى نور الحقيقة واليقين.

نعم إنه يصعب علينا أن نحلل هاتين الظاهرتين تحليلاً نفسياً دقيقاً، ولكننا نستطيع أن نلاحظ أنهما يمثلان أسمى أعمال العقل الإنساني التى ترمى إلى الخير الأعلى، ومتى وصل المرء إلى مرتبتها أحس بسعادة تجل عن الوصف، وغبطة لا نهاية لها، ففي عبارات الفارابي ما يكاد يعلن عن الأصل الإسكندري الذى اعتمد عليه)[1]

وخلاصة القول: إن نظرية الفارابي الأخلاقة، وخاصة نظرية السعادة، إنما نشأت من عوامل عدة وظروف مختلفة، فهي مدينة لميول الفارابي واستعداداته، بقدر ما هى متأثرة ببيئته ومفكري الإسلام المحيطين به. ولكن في تكوينها العلمي، تخضع خضوعاً كبيراً لفلسفة أفلاطون وأرسطو والأفلاطونية المحدثة، فقد جمع الفارابي كل ذلك ونسقه، ثم أخرج منه نظرية إسلامية يونانية، قُدر لها أن تؤثر تأثيراً واضحاً فيمن جاءوا بعده.[2]

---

(١) في الفلسفة الإسلامية ، صـ ٤٣

(٢) كتابنا : المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي ، صـ ٨٢

فقد جاءت مواطن الالتقاء والاختلاف بين أفلاطون والفارابي، في المجتمع المثالي، جلية واضحة، ففي الجانب الأخلاقي الذى نحن بصدد الحديث عنه إذا ذهبنا إلى أفلاطون، نجده يرى أن النفس صادرة عن العالم العلوى، أو عالم المثل، ومن ثم فإن سعادتهما تكمن في نزوعها وتجردها من عالم المادة ورقيها إلى العالم العلوى "عالم المثل" وهذا لا يتحقق للنفس إلا بالمعرفة الحقة عن طريق استخدام العقل، وهذا هو نفسه ما قال به "الفارابي"، فهو يرى أن السعادة حالة روحية تتحرر فيها النفس من المادة وتقترب من الجواهر المفارقة.

وأيضاً مما يتفق فيه أفلاطون والفارابي، أن كلا منهما جعل السعادة هي الغاية المرجوة من وراء علم الأخلاق، ولكن الشئ الذى يفترق فيه الفارابي عن أفلاطون فى هذه النظرية، جعله السعادة ثنائية، أى سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة، فهذا شئ جديد، لا نجده عند فلاسفة الإغريق عامة، فهذا بلا شك مصدره الوحيد، هو الدين الإسلامي، الذى صرح بذلك في آيات قرآنية متعددة.(١)

ويرى "ثيكونى": (أن الشئ الذى يلتقى فيه الفارابي مع أفلاطون، هو فى كون الفضيلة اكتشاف للعالم الآخر، لعالم الروح، عالم السعادة، التى تكمن في تخطي المحسوسات، وإدراك قواها الذاتية الكامنة فى العالم العقلي.(٢)

وأيضاً هناك تشابه بين أفلاطون والفارابي فيما يخص السعادة والفضيلة، فالفضيلة علم، والفاضل لا بد له من أن يأتي بالخير، ويستحيل عليه أن يؤثر الشر، مع علمه بالخير علماً صحيحاً، أما الذى

---

(١) السابق ، صـ ٨٠ ـ ٨١
(٢) أفلاطون والفضيلة ، صـ ١٢٠

يعلم ويأتي بالشر - هذا ما يتفق تماماً مع قول الفارابي في النفس العالمة الشريرة - فعلمه ناقص، وحقيقة أنه ظن عار من الأصول والنتائج، ولا يقوى على إغراء اللذة، أما الرذيلة فهي جهل للخير الحقيقي.

نلاحظ من هذا القول أن هناك اختلاف بين الفارابي وأفلاطون، فالفارابي لا يزال يعترف بوجود الرذيلة للذى يجهل، عكس ما يقوله أفلاطون، إنما هناك اتفاق واضح حول مسألة الفضيلة من حيث كونها غير مادية، ومفارقة، وكونها تأتي وتتحقق في السعادة، السعادة التى تبقى بعد ترك النفس الجسد وعالم المادة.(١)

وهذه التأثيرات اليونانية على فلسفة الفارابي، وخاصة ما نحن بصدد الحديث عنه، وهو الجانب الأخلاقي، هى التى دفعت أحد الباحثين بأن يحكم على الفلسفة الفارابية بأنه بعيدة عن روح الإسلام، حيث يقول: (إن الفارابي فيلسوف متأثر إلى الأعماق بالفلسفة اليونانية، حتى ليحسب المرء أنه يوناني يكتب بلسان عربي. إلا أن الباحث يستدرك في نفس الموضع على كلامه فيقول: وليس معنى ذلك أنه يحكى مذهب أفلاطون أو يلخصه، أو يردد فلسفة أرسطو، دون أن يكون له رأى خاص، كلا أنها فلسفة فارابية امتزجت فيها عناصر أفلاطونية وأرسطية، وأفلوطينية، بل وإسلامية أيضاً)(٢)

---

(١) السابق ، صـ ١٢٦
(٢) فضائل الأمم في نظر الفارابي ، والاهواني ، صـ ٧٧

ومهمـــا يكن من أمر، فإننا لا ننكر أن الفارابي قد تأثر بالفلاسفة اليونانية، ولكن الشئ الذى ننكره ولا نرتضيه هو، جعل الفارابي يونانياً صرفاً، وأن فلسفته بعيدة عن روح الإسلام، فهو مسلم في المقام الأول، وحتى بالنسبة للآراء التى استعارها من اليونانية لم يكن فيها بعيداً عن روح الإســـلام، وكـــل فكـــر يتعارض مع تعاليم الإسلام، كان الفارابي لا يقبله، فإما أن يرفضه، أو يوفق بينه وبين الدين الإسلامي.

﴿وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الأخلاق تشكل مكانة كبيرة من اهتمام الإنسان، وتستحوذ على تفكيره، أو ينبغي أن تكون كذلك، فالإنسان لا يستطيع أن يستغني عن الأخلاق في أى لحظة من لحظات حياته، ولا يستطيع أن يستغني عن مثل أعلى في سلوكه، أو معيار للحكم على أفعاله وأفعال الناس بالخير أو الشر، ولا يمكن أن يتصور المرء إنسانا يعيش بلا ضمير يحاسبه إذا أخطأ، ويلومه إذا تمادى في الخطأ، ومن هنا كانت أهمية الدراسات الأخلاقية، فإنها ليست مجرد دراسات نظرية عامة منفصلة عن حياة الناس، وإنما هي دراسات مرتبطة ارتباطا وثيقاً بحياة الناس، وممتزجة بسلوكهم امتزاجاً عضوياً.

هذا ، وقد أسفر البحث في "الجانب الأخلاقي في فلسفة الفارابي" عن عدة معالم ونتائج أساسية من أهمها:

١- إن أعظم ما ورثته الإنسانية من أنبيائها وهداتها ومرشديها على مر العصور الخلق القويم، والسلوك المستقيم، وأن الأديان السماوية، ما جاءت إلا لتهدي الناس إلى الاعتقاد الحق، وعمل الخير، والسلوك القويم.

٢- إن من ملك زمام الخلق الكريم، ملك كل شئ، وإن كان لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ومن أفلت من يده هذا الزمام، خسر كل شئ، وإن ملك الدنيا بحذافيرها.

٣- إن أكبر مصيبة يمكن أن تصاب بها أمة في تاريخها، هي مصيبتها في الأخلاق، لأنها تعني الانحلال والفوضى والضياع، وهذا ما تعانيه كثير من دول العالم الغربي في عصرنا الراهن.

٤- إن الإنسان الذى يسعى إلى الارتقاء بذاته، والسمو بإنسانيته، يعاني صراعاً داخلياً بين جانبه المادي، وجانبه الروحي، والأخلاق هي التى تساعده على انتصار الجانب الروحي على الجانب المادي، وتحقق ما يسعى إليه من السمو بإنسانيته.

٥- أهمية الدراسات الأخلاقية، فإنها ليست مجرد دراسات نظرية جافة، منفصلة عن الحياة، وإنما هى دراسات مرتبطة ارتباطاً وثيقا بحياة الناس، وممتزجة بسلوكهم امتزاجاً عضوياً.

٦- لقد تخلق الفارابي بالأخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة، فكان مضرب المثل في الأخلاق العملية.

٧- يعتبر الفارابي في مقدمة الفلاسفة المسلمين، الذين اهتموا بدراسة علم الأخلاق، فقد جعل الأخلاق والقيم الفاضلة، النتيجة النهائية لكل المقدمات التى طرحها في فلسفته.

٨- لقد تأثر الفارابي في جانبه الأخلاقي بالفلسفة اليونانية، وعلى رأسها فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس، وأفلوطين المصري، إلا أن هذا التأثر لا يقلل من قيمة فكر الفارابي الأخلاقي.

٩- لقد أخذ فلاسفة الإسلام ، وعلى رأسهم الفارابي مفهوم النفس من أرسطوطاليس، دون تحوير أو تبديل فى صيغته.

١٠- لقد كان موقف الفارابي في مسألة خلود النفس مضطرباً، يعتريه نوع من التردد والتناقض، يقول به تارة، وينكره تارة أخرى.

١١- إن الفضيلة أوضح نتيجة من نتائج اعتياد المرء آداب الواجب ، وعمل ما هو خير.

١٢- إن البحث في الفضيلة وأنواعها هو حجر الزاوية في المذهب الأخلاقي لدى الفارابي، إذ هي الوسيلة الموصلة إلى السعادة.

١٣- لقد ربط الفارابي مفهومه للفضيلة، بنظامه الفلسفي، المبنى على (الفيض).

١٤- لقد ساق لنا الفارابي تصويراً دقيقاً للفضائل التي يمكن أن توجد في المجتمع المتحضر، فقرر لنا أربعة أنواع: الفضائل النظرية، والفضائل الفكرية، والفضائل الخلقية، والفضائل العملية.

١٥- إن الفارابي لا يرى وجود الفضائل والرذائل في الإنسان بالطبع أو الفطرة، وإنما بالاكتساب.

١٦- لقد لعب الاعتدال أو التوسط، دوراً رئيسياً فى نظرة الفارابي إلى الفضائل، على غرار ما فعله أرسطوطاليس في نظرية الوسط الأخلاقي.

١٧- لقد شغلت نظرية السعادة في فلسفة الفارابي الأخلاقية مكانا بارزاً، فهي الغاية التى يسعى علم الأخلاق إلى تحقيقها.

وبعد:

فهذا ما هداني الله تعالى إليه في بحثى هذا فإن كنت قد وفقت، فذلك بفضل الله تعالى وتوفيقه، وإن تكن الأخرى، فعذرى أننى بشر أخطئ وأصيب، والكمال لله وحده، وحسبي أننى ما ابتغيت إلا وجه الحق والصواب.

وأخيراً ندعو الله تعالى أن ينفع ببحثنا هذا طلاب العلم والإيمان، وأن يرزقنا الإخلاص فيما نكتب ونعمل، إنه نعم المجيب.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

دكتور

محمد بن الحسن المهدي

أستاذ العقيدة والفلسفة بالجامعة الأزهرية

الأحد الموافق

٣ من صفر ١٤٢٦هـ

١٣ من مارس ٢٠٠٥م

المحتويات

١- مقدمة

٢- أولاً : حياة الفارابي

٣- ثانياً : الأخلاق في فلسفة الفارابي

٤- أولاً: النفس الإنسانية

٥- قوى النفس الإنسانية

٦- مسألة خلود النفس عند الفارابي

٧- ثانياً : الفضيلة وأقسامها

٨- أنواع الفضائل عند الفارابي

٩- الأخلاق الفارابية بين الفطرة والاكتساب

١٠- الفارابي ونظرية الوسط الأخلاقي

١١- ثالثاً : السعادة الفارابية

١٢- الخاتمة